خطاب السلطة الإعلامى

دكتور
محمود عكاشة

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي   مكتبة دار المعرفة

خطاب السلطة الإعلامى

الطبعة الثانية
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
رقـــــم الإيـــــــداع: ٢٠٨٥٨ / ٢٠٠٤
الترقـــــيم الـــــدولي: 977 - 6149 - 06 -5

الناشر

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

٨٢ شارع وادى النيل ، المهندسين ، القاهرة ، مصر
تلفاكس: ٥٦١ ٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢) محمول ٤٥٩٣ ١٧٣ ٠١٢
البريد الاليكترونى **E-mail: J_hindi@hotmail.com**

مكتبة دار المعرفة

٤ شارع السرايات أمام هندسة عين شمس ، القاهرة ، مصر
ت : ٦٨٤٤٠٤٣ **E-mail: Dar_elmaarefa@yahoo.com**

خطاب السلطة الإعلامى

نحو تجديد لغة الخطاب

الدكتور محمود عكاشة

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

طبعة جديدية مزيدة ومنقحة

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

إهداء

إلي رائد الإصلاح الأول
الشيخ المجدد جمال الدين الأفغانى
رحمه الـلـه تعالى

الدكتور محمود عكاشة

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الفتاح، والصلاة والسلام على نبى الهدى والإصلاح صلى الـلـه عليه وسلم وبعد:

فالدراسات التحليلية التطبيقية التى تقوم على أسس علمية محايدة ما زالت فى طـور النشـأة، وهـى فى طريقها إلى النضج عندما تكتمل أدواتها، وتستلهم مـن الـتراث خلاصـة تجاربـه فى تحليـل النصـوص وفهمهـا، فالبحث الأسلوبى ومناهج التحليل المعاصرة عالة على الدراسات الغربية التى تسير فى حذائها وهى تتعثر فيها لا تجد له تخريجا أو مكانا فى الدراسات الغربية، وبعض هؤلاء الذين يحترفون النقـد والتحليـل لا يتجـاوزون التنظير وتستغرقهم النظريات الغربية وينشـغلون بـالاختلاف فيهـا، ولا يتفقـون عـلى مبـادئ البحـث الغـربى لاختلافهم حول المفاهيم وترجمتها إلى العربية وتوجيهها فى الدرس العربى، فيقف البحث عند طـرح المفـاهيم وتفسيرها، وهو أمر غير حسم؛ لاختلاف اللغات والمشارب الثقافية والنظريات.

والذين خاضوا البحث التطبيقى قلة، وقد عولوا فى تحليلهم وتأويلهم على التراث العربى الـذى أخـرجهم من مأذق تطبيق المناهج التحليلية الغربية فى الثقافة العربية، وبعض الذين تبنوا المناهج الغربية تعسـفوا فى تخريج الخطاب العربى على أنماط الخطاب الغربى فى التأوبل وغالوا فى القول، وبعضهم نحا نحوا متطرفا فوجه نقدا لاذعا لمعطيات تراثه، وقضى بعدم صـلاحية الخطـاب العـربى قـديما وحـديثا للبحـث العلمـى، ونـال مـن الخطاب العربى وحط منه؛ لأنه لم يجـده عـلى أنمـاط الخطـاب الغـربى، ووجـوه النقـد لا تتجـاوز النظـر دون التطبيق العلمى أو بحث مادة لغويـة، وبعضـهم تحـدث حـديثا غـير موضـوعى، فحديثـه العـربى لـيس عـن الخطاب العربى بل الخطاب الغربى غير أنه عرب النصوص التى نقلها، فليست هذه الكتب إلا نقـولا ترجمتهـا ركيكة، والفكرة غير واضحة، ومعظمها تلفيق بين النصوص ومحاولة للتوفيـق بـين الأفكـار، والـذين خاضـوا فى الحديث دون التطبيق تورطوا فى سرقـات، واتهمـوا فى وجهـتهم وولائهـم واعتقـادهم، ولم يعمـد بعضـهم إلى التطرف بل دفعه إليه النقل المباشر دون نظر أو نقد، وبعضهم شط فى الرأى، وتعصب لرأيه غير مبال بغـيره؛ لأنه لم يسبق إليه سواه فظن أن ما يعرفه الصواب ومن دونه الباطل، وهـؤلاء الـذين دخلـوا فى معـترك صراع المذاهب الغربية، لم تكن لديهم ثوابت ينطلقون منها لمعرفة الآخر؛ فصار الآخر مصدر معرفتهم ومـرجعيتهم التى لا يعدل عنها. وقد امتلأت الباحة العربية بالخصومات والخلافات

والترغيب والتنفير، ولم يتجاوز هؤلاء الحناجر إلى ساحة البحث فى الخطاب والتحليل التطبيقى، فحديثهم حديث من لا يعلم فهم أعداء ما جهلوا، ولو سكت من لا يعلم عما لا يعلم لذهب الخلاف.

وقد صنع خطاب العلوم النظرية تصدعا فى جسد الأمة؛ لكثرة ما به من جدال وتنازع حول المشارب الثقافية، وقد شغل العقل العربى بجدله عما سواه من النظر فى العلوم الأخرى، وتعده السلطة هدفا فى سياستها وتحقيق مصالحها، فلم تأبه بالعلوم التجريبية - وهى أساس الحضارة - واكتفت بتوظيف خطاب العلوم الإنسانية فى تحقيق أهدافها، وقد تدفع بمسائل الخلاف إليه لتشغل الجماهير عن التفكير فى حقوقها السياسية.

ولنا رأى ندعو إلى النظر فيه، ولك أن تجافيه: أن الثقافة العربية المعاصرة لا تتجاوز الإطار النظرى، وأنها شغلت الأمة بقضايا كلامية مطروحة منذ بدء النهضة الحديثة، وستظل ما لم تتجاوز الحناجر إلى حقل البحث التطبيقى، والنتائج التى جنتها الأمة من وراء الانشغال بالقضايا الكلامية الخسارة وتضييع الوقت وإهدار الطاقات، وهى بداية غير رشيدة فى إدراك ركب الحضارة، وقد كان " محمد على باشا " عاقلا رشيدا عندما انصرف عن الجدل القولى إلى إرسال بعثات علمية تتعلم علوم الغرب الحديثة وتترجم كتبه وجلب إلى مصر خبراء فى المجالات العلمية ومرافق الدولة ومؤسساتها فنجت مصر من الجدل اللفظى العقيم الذى يشغل الناس عن مصالح الحياة العلمية، وحققت هذه السياسة نتائج عظيمة، فقد استطاع محمد على (١٨٠٥ – ١٨٤٨م) أن يجعل مصر دولة متقدمة تقوم على مؤسسات، وأقام لها مؤسسة عسكرية ضخمة واقتصاد قوى دعم خططه التوسعية، وما زالت مصر تنعم بإنجازات محمد على.

فانتبه الغرب إلى أن ما منحه لمحمد على من خبرات وعلوم أقام عليها المؤسسة العسكرية ومؤسسات الدولة واقتصادها فى غير مصالحه وأطماعه فى استعمار الشرق، فقد حالت قوة محمد على دون استعمار الشرق فتراجع الغرب حينا عن ذلك، فأغرق مصر فى الديون، وحجب علومه، وضيق عليها فى تحصيل العلوم والتقنية، وقدم للشرق الإسلامى منحا ميسورة فى المعارف النظرية ويهدفون منها إلى التباعية الثقافية وإثارة الخلاف الفكرى العقيم لتفتيت بناء الأمة بإثارة الجدل بين المثقفين وتغريب الشرق، وأتت هذه السياسات ثمارها، فمازال الشرق متخلفا حضاريا منشغلا بالصراع بين المحافظين والحداثيين، وامتلأت حقول

الثقافة بالصراعات والمشارب المتنافرة، ورجال السلطة يزكون نار الصراع لينشغل المثقفون بالصراعات البينية عن النظر فى الحقوق السياسية وسياسة رجال السلطة، وضاعت الشعوب العربية بين الذق والعود، وبين المحافظين والحداثيين، وإعادة طرح قضايا خلافية، والتشكيل فى الثوابت، لشغل الأمة وهدمها.

وانصرف الجميع عن الخطاب العلمى الذى يبحث عناصر بناء الأمة وتقدمها ومعالجة مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إلى خطابات جدلية عقيمة، والأمة فى حاجة إلى ثقافة علمية فى مجالات الحياة، فالحضارة تقوم على أسس البحث العلمى والنظر فى تطوير العلوم، والدول التى تنشد حضارة تربى علماء وتستقطب الكفاءات وتدعم أرباب العلوم، فالخطاب العلمى أساس تقدم الأمة وتنمية عقولها وثقلها، وهو بوابة الخروج من الخلاف بين الكلاميين والحداثيين والمذهبيين، وهذا الخطاب سيؤثر طوعا فى الخطاب الدينى فينقله من خطاب مكثف فى الفروع والسلوكيات والمظاهر إلى خطاب يبحث عن حلول موضوعية فى معالجة مصالح الناس الدنيوية وعلاقتهم بالآخرين، ويجعل من الدين سندا فى بناء الأمة وتنشئة جيل يتمتع بشخصية قوية تتغلب على الصعوبات وتبحث عن حلول لمشاكلها، ويساهم فى بناء أمتها وينتمى إليها فى الظاهر والباطن.

وستتأثر الخطابات النظرية طوعا بالخطاب العلمى، وستكون تبعا له ، وستخضع لأدواته المنهجية العلمية، فتوازن بين ثوابتها المتمثلة فى العقيدة والتراث والأعراف ومعطيات الثقافة الغربية فى حقول النقد والبلاغة والأدب والفلسفة والاجتماع وغير ذلك من العلوم النظرية، وهو ما أطلق عليه " العلوم الإنسانية " حديثا، وهى علوم لها نصيب كبير من الثقافة بل تستحوذ عليها فى العالم الإسلامى، فلا تترك للثقافة العلمية شيئا، فالاهتمام بالعلوم التجريبية مرحلة متأخرة؛ لأن رجال السلطة يقدمون دعمهم لما يحقق مصالحهم، والعلوم التجريبية لم توظفها السلطة فى مصالحها لافتقادها إلى الوعى العلمى الذى يمكنها من استثمار العلوم فى الأهداف السياسية، فلم تحظ هذه العلوم باهتمام السلطة ودعمها، فالبحث العلمى مهمل سياسيا وتوجه الدولة دعمها لوسائل الترفيه والتغييب التى تجانس هواها وتحقق مصالحها، وهذه أزمة أخرى يحياها أصحاب العلوم العملية، وهم - من حيث النفع - رواد الحضارة وأصحاب الفضل فى تقدم البشرية بيد أن أصحاب العلوم الإنسانية يتسلطون على أصحاب القرار ومؤسسات الدولة ووسائل الإعلام، وشغلوا الناس بخطابهم

النظرى العقيم بدعوى التنوير والتجديد والتحديث والتوعية، والبداية تكون بالبحث العلمى، وتأتى العلوم النظرية تبعا له.

والأمة ليست فى حاجة إلى العلوم النظرية بل إلى المعارف العلمية التى تعالج بها مصالح الأمة الدنيوية، فالأزمة أزمة مواجهة الحياة وتحديها، وليست أزمة خطاب نظرى عقيم يدور فى رحاب اللغة والفكر، والجدل بين المذاهب والتيارات، فشغلوا الناس بالخلاف عن النظر فى بحث مصالحهم الدنيوية.

والبداية الصحيحة نحو التقدم تبدأ من العلوم التجريبية، وهى بداية موفقة ابتدأ بها محمد فى إقامة دولة عصرية، ولم تنشأ فى عصره أزمة نقدية أو فكرية أو صراع بين العلمانية والأصولية المحافظة، فقد دخلت الأمة معترك الخلاف بعد أن ترك المثقفون المجال العلمى التجريبى وانشغلوا بقضايا الجدال، وهى مؤشر انهيار الأمة وانحطاطها، وهؤلاء الذين يتقاتلون يدعون إلى حرية الفكر والتنوير، وهم متسلطون على العقول ويستبدون بالخطاب ولا يرون حقوقا يمارس الآخر فى ظلها اعتقاده وحريته، وشاهد ذلك أن خطابهم موجه ضد الآخر، فالآخر مصدر الرجعية والظلام، وهم أولو التنوير والاستنارة. والحرية عندهم تعنى التجرد من المرجعيات العقدية والعرفية والاجتماعية، وهذا المفهوم للحرية لا يسمح باحترام معتقد الآخر وحقه فى اختيار وجهته فى الحياة، فهم لا يرون إلا ما هم عليه من حداثة مجهولة الدلالة، وكل حزب بما لديهم فرحون، وهؤلاء منشغلون بقضاياهم الخلافية، وهم فى غفلة عن ظهور تيارات شاذة وعقائد مجهولة، وجدت متسعا لها فى وسائل الإعلام التى تلهث وراء الإثارة، وهذا خطر يهدد اللغة.

والسياسيون بعضهم ضحول المعرفة، وليس لديهم مرجعية أو ثوابت عقدية أو فكرية أو أهداف ينطلقون منها فى قيادة الأمة، ومن ثم لا يجد العلماء مكانا بينهم أو مجلسا يتواصلون معهم فيه، لعدم وجود جسور معرفية يتواصل بها الطرفان، فلا يشارك العلماء فى السلطة، ويعيشون بمعزل عن الحياة السياسية، فصارت السلطة فى حوذة أرباب السلاح والمال، وخسرت الأمة لافتقادها عناصر نافعة تعيش بمنأى عن أصحاب القرار ولا تستعملهم السلطة، واستغنت عنهم بفئات تشايعها وتعيش على بقايا موائدها، فكثر النهب وساء شأن الناس، واكتفى أهل الكفاءة بشجب الأحداث وندب الكوارث، فلا يلومون إلا أنفسهم، لأنهم تركوا أماكنهم فاستحوذ عليها غير أهلها، فأسند الأمر لمن يفسده !

والخطاب العربى المعاصر شاهد على تردى الوضع السياسى، ويجسد معترك غير الأكفاء، فلا يتوازى مع غيره، ولا يطابق واقعه، فهو خيال فى وجدان غائب عن الوعى أو هائم فى أحلام العاجزين، وما زال صاحبه يترنح فى بادية يستعدى شعبه على الأعداء للثأر، وليس معهم إلا السيف، فأهلم من بقى منهم !

ولا شك أن الخطاب السياسى الناضج له أثر عظيم فى حياة الشعوب وتوعيتها، والإعلام قوة أخرى تستطيع بها السلطة تعزيز الأمة وتنويرها، والارتقاء بخطابها اللغوى والسياسى والإسلامى، فالسياسة والإعلام لهما دور كبير فى تطوير اللغة ونموها وانتشارها، فاللغة تصل حيث تنتهى حدود الدولة وتبلغ منتهى بث وسائل الإعلام، فالسياسة والإعلام مؤثران فى حياة اللغة المعاصرة، وعاملان رئيسيان فى تطورها وانتشارها، لما تتمتع به السياسة من نفوذ شعبى وبما تملكه من قوة تمكنها من زمام المجتمع، والإعلام من الوسائل المؤثرة فى اللغة، لأنه أكثر وسائل الاتصال انتشارا وأقواها تأثيرا فى الجماهير وأيسرها تواصلا ، ويملك قنوات متنوعة ويقدم الرسالة فى أفضل صورها، ويوظف لغة متوسطة تفهمها طبقات المجتمع على اختلاف مستوياتها ومشاربها الثقافية، ويعد عامل السرعة وسيلة أخرى توظفها وسائل الإعلام. وقد تقدمت وسيلة اتصال أخرى وصارت أعظم خطرا من صواحبها، وهى الانترنت (المعلوماتية)، وخطرها أنها بلا ضابط أو قيد يحكمان حريتها ويقننان العمل فيها، فمستخدم النت مطلق الحرية ولا رقيب عليه وليست أمامه حواجز، وهى وسيلة تنفيث للصغار الذين أسرفوا فى استخدامها وتقدموا فيها عن كبار السن واستطاعوا تنمية قدراتهم فيها، وخطورتها فى عدم ضبط استخدامها وحرية التجول فيها بلا موانع.

ووجدتها الاتجاهات المحظورة والجماعات السياسية والحركات الثورية مخرجا من التضييق عليها والتعتيم الحكومى، فخرجت عن سلطة الدولة، واستطاعت مد جسور لها عبر شبكات المعلومات، واللغات كلها متاحة فى التواصل المعلوماتى، وتبارى أصحابها فى تقديم تقنيات أكثر دقة وأوفر استخداما، وهذا نذير خطر يهدد بخروج الأفراد عن الأعراف العامة وسلطة القانون، وقد لجأت التيارات المحظورة إلى هذه الوسائل الدعائية التى لا تخضع لسيطرة السلطة، فبثت أفكارها وأعلنت عن نفسها، ووجدت دعما من أصحاب المصالح داخليا وخارجيا.

واللغة قناة الاتصال الرئيسية فى هذه القنوات، وحركتها فيها تجاوزت الماضى الوئيد، وحركته السريعة سبب فى تهميش الدلالة وتباينها وانحرافها وفكاكها عن الأصل الذى وضعت له، ولا سبيل إلى دفع ذلك إلا التوعية الجماهيرية. و الله الموفق ،،،

الدكتور محمود عكاشة

الأربعاء ١١ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

١٠ مايو ٢٠٠٦م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله مالك الملك، ﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ [الفرقان : ٥٩]، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله ربه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأنزل عليه الكتاب بالحق وجعل له سلطانا نصيرا، أما بعد :

فقد جعل الله تعالى للكلمة سلطانا، وجعل أجملها أفصحها بيانا،وأوجزها لفظا، وأسرعها إفهاما، وأكثرها تأثيرا، وأعمقها مراما.

واللغة سجل حافل يرصد تاريخ البشرية، ويصور مراحل تاريخها، ويجسد أوضاعها، ويحفظ فكرها وإبداعها، فاللغة ظاهرة اجتماعية ترقى برقى المجتمع وتتسع باتساعه، وتتطور بتطوره، وترتبط ارتباطا وثيقا بحركته، وتؤثر السياسة تأثيرا مباشرا في لغة المجتمع، فالسياسيون يصنعون مصطلحات جديدة تعززها الأحداث اليومية والعلاقات الدولية والتفاعل بين الأمم، فالسياسة من أكثر العوامل المؤثرة في اللغة ودلالتها، لاتساع مجالها وكثرة تفاعلاتها دوليا وسرعة تطورها، وتغيرها، فالسياسة تصنع كل يوم لغة جديدة، تعبر عنها، وتوظفها في التفاعل والصراع، وتستعين في ذلك بتقنيات عالية في مبارياتها مع الآخرين، وتمنح الألفاظ دلالات جديدة، وتستطيع توظيفها وإرسالها سريعا، وإقناع المتلقي بها، وتلجأ في ذلك إلى وسائل لغوية وغير لغوية،وتدعم خطابها بالصوت والصورة والمال.

والسلطة بما تهيمن عليه من مصادر الدولة الاقتصادية توظف جزء منها في خدمة مصالحها الدعائية - تستطيع أن تغزو المتلقي، وتمارس عليه ضغوطا متنوعة - ووسائل تأثير متعددة لا تستطيع الفكاك منها أو النجاء من تأثيرها.

وقد فطنت الأقطاب السياسية في العالم إلى دور الإعلام الفذ في توجيه الرأي العام العالمي إلى خططها ومصالحها وخدمة أهدافها، فصنعت مفردات دولية تبثها وسائل الإعلام الدولية، والدول الفقيرة أسيرة ما تقدمه وسائل الإعلام الاستعمارية، وقد ظهر أثرها واضحا، فقد تبث في قنواتها ما هو ضد مصالحها غير مبالية بما تقول فلا تعقل ما تقول ولا تنتبه إليه إلا بعد أن يوقظها خطب جلل، وقد وظفتها بعض أجهزة الدولة في تحقيق أهداف سياسية في الداخل والخارج، فأغنت الدولة عن استخدام القوة. والخطاب العربي المعاصر فى حاجة إلى بحث علمى دقيق يحلل مضمون الخطاب من خلال اللغة الموظفة فيه وعلاقة

الخطاب بالواقع، والدراسات المعاصرة تدرس الخطاب نظريا دون تحليل مستوى المضمون واللغة، وتعتمد فى بحثها على معطيات البحث العربى وتقنياته، ويعالجون الخطاب العربى فى ضوء البحث الغربى، وهذا الاتجاه لا يقدم نتائج دقيقة لاختلاف اللغات وخصائص الأسلوب، والدقة فى البحث تقتضى أن تكون أسس التحليل من اللغة وقواعدها فى ضوء ظروف إنتاج الخطاب وعلاقته بالواقع والمشاركين فيه، ويستفاد من البحث الغربى فى التعرف على خصائص الخطاب ومناهج التحليل التى تصلح للخطاب العربى.

ومازال الدرس التحليلى فى مرحلة النضج ولم تكتمل أدواته الموضوعية التى تمكن الباحث من اكتشاف أغوار الخطاب دون تحيز، ومازال البحث الأسلوبى نظيريا ينقل عن الغربيين، فلم تكتمل شخصيته العربية التى تطوع التراث للبحث المعاصر، وتستفيد من معطيات الدراسات الغربية، وإن تمكن الباحثون العرب من المزاوجة بين التراث والحداثة فستكون لديهم القدرة على الوصول إلى أسلوبية معاصرة تدرس النصوص دراسة علمية تطبيقية دون أن تحملها على المفاهيم الغربية أو أن تتعسف فى تأويل النصوص وتوجيهها.

وتوجد علاقة حميمة بين اللغة والسياسة، فكلاهما ينتفع بالآخر، ويرتزق منه ويقتات من موائده، فالسياسة لها دور كبير في انتشار اللغة، فاللغة تنمو في ظل امتداد الدولة وتقدمها، وترتقي برقى الدولة وتنهض بنهضتها، فالأمم ذات التاريخ تبسط إلى جانب سلطانها لغتها، فتغلغلت في الأمم التي هيمنتها عليها سياسيا واقتصاديا وثقافيا، واتسعت بامتداد نفوذها في الأرض.

فاللغة الرسمية هي لغة الأمة المهيمنة أو لغة الأسرة الحاكمة أو رجال السلطة أو لغة العاصمة، فالإنجليزية انتشرت في العالم الحديث بفضل امتداد الاستعمار الإنجليزي، وانتشرت الفرنسية بفضل ثقافتها ونفوذها الاستعماري، وانتشرت العربية في العالم الإسلامي بفضل القرآن الكريم أولا ثم بفضل دولة الخلافة، وبفضل الثقافة الإسلامية ثالثا، وبعض أبناء الدول الفقيرة يتطلعون إلى معرفة لغة الأمم المتقدمة التي بهرتهم، فتتقلص لغتهم وتغتال أرضها لغة الغازي الجديد، فينشأ جيل عبيد للثقافة الوافدة، ويقع الخلل بين ثقافتين، فيتصارعان في أرض واحدة، فقد لا يقبلان التعايش معا، وهذا شأن كثير من الدول النامية، ونخلص من ذلك إلى أن الأمم الضعيفة عبيدة لغة الأمم القوية، وأثيرة خطابها وسلوكها، والأرض العربية جزء من هذا الصراع الثقافي المحتدم، فلكل ثقافة رجالها، وكلهم يذبون

عنها، ويتعصبون لها ويرونها الفضلى دون غيرها، وقد تمخض عن هذا الصراع خطابات عديدة.

وليس للعرب خطاب واحد بل خطابات، فبعضهم يتحدث خطابا سلفيا يحمل في طياته أفكار الماضي التليد، ويوظف فيه مضامين تراثية غيبها الحاضر، وهؤلاء يحسبون أنهم محافظون، وبعضهم يتحدث خطابا علمانيا مغاليا أحيانا، فيصور حياة الغرب العلمانية تصويرا شفافا مثاليا، ويجعلك تتمنى أن تكون غربيا أو تسكن في جنة الغرب، وتمقت ما أنت عليه، وهؤلاء يرون الفكر الغربي نموذجا متكاملا يحتذونه، وينشدون مجتمعا عربيا مثله، ومؤيدو هذا النموذج من الشرقيين، لا يعرفون عنه إلا الفكرة النظرية، وكل ما يتعلق بالسلوك، وخطابهم يحمل في مضمونه صورة مجسدة لهذه الحياة، بيد أنهم يتجاهلون ما نحتاجه من علوم تقنية، والغرب نفسه يمتنع عن إفادتهم في هذا المجال، ولا يقدم لهم إلا علوما نظرية يثير معظمها جدلا فكريا، وقد اكتشف الشرق حقيقة الغرب الزائفة، وعلم يقينا أنه مستهدف استعماريا، وأن علاقة الغرب بالشرق علاقة الذئب بالشاة، والخطاب العلماني شغل الساحة بالفكر الغربي الذي استغرقه، فتمخض صراع ثقافي داخلي استوقف المجتمع عن ملاحقة التطور العلمي الغربي، فالحضارة التي تسيطر على رواد الثقافة المعاصرة، لا تبرح الأدب والفلسفة والتاريخ وغير ذلك من العلوم الإنسانية النظرية، ومازال المجال العلمي التقني غائبا، ولا يجد عناية كافية من الدولة، ويعتمد على ما يقدمه رجاله فقط، والمجال العلمي أحق برعاية الدولة وأولى من غيره ، ولكن أرباب المجال النظري يهيمنون على السلطة التي تستعين بهم في بقائها واستمرارها. وبعض العرب يتحدث خطابا دينيا، وهو من الخطابات المؤثرة جمهوريا، وترجع قيمته إلى علاقته الحميمة بالعقيدة، فالقيمة ليست في الخطاب أو صاحبه بل في موضوع الخطاب " الدين ".

وقائل الخطاب الديني قد يكون واعيا، فيضمنه أفكار تتسق مع الواقع، وتحقق مقاصد معاصرة، ويعالج القضايا بموضوعية بعيدا عن الخيال والتأمل، ويقدم لك وسائل إقناعية تحسم موضوع الخطاب، وترفعه إلى مرحلة الصدق و آخر يقدم لك خطابا محفوظا تقليديا يصلح في كل موطن يشبهه وليست فيه زمنية، فهو مطلق، فقد يكون مجتزأ من قرون ماضية، وتفوح منه رائحة الماضي، ويسحبك من حاضرك إلى ماضيك، ثم تستيقظ على ما أنت فيه كأن لم يك شيئا، وقد لا تأنس بمضمونه، ويعز عليك سماعه، فالخطاب إن لم يجد أذنا ولم يجد

عقلا يقبله فلا خير فيه، وكثير من أصحاب هذا الخطاب يجعلونك تعاصر الموضوع بخيالك فقط؛ لأنه لا يتسق مع الواقع، فالقائل يرسل خطابه وهو مغيب عن الوعي.

وقد يجد هذا الخطاب صدى عند العامة لكنه ليس فعالا، ويقدم آخرون خطابا آخر أكثر موضوعية يعالج فيه القضايا معالجة حية فيها إقناع، ولكن هؤلاء غائبون إعلاميا، ومهمشون سياسيا، فالسلطة لا ترى إلا خطابها الفردي نموذجا مثاليا. والخطاب الديني والخطاب العلماني يتصارعان في الساحة الثقافية الإسلامية وتقف السياسة من وراء هذا الصراع، فتسلط أحدهما على الآخر وتعينه ليكفيها الآخر، أو لتشغل به الفئة المثقفة عن النظر في الوضع السياسي الراهن، فنقلت المعركة إلى ساحة أخرى، وتركتهم يقتتلان، فظهر تيار مغال في كلا الخطابين يتبنى اتجاها متطرفا يتعصب لفكره ويغالي فيه، فحول الخلاف في الرأي إلى خصومة وحربا مغالاة، فخرج الخطاب العلماني بفكر شديد العداوة لتراثه وعقيدته، وظهر من بين رجال الدين من لا يرى له إلا وجهين الكفر أو الإيمان. والخطاب السياسي يعد من أكثر الخطاب انتشارا وتوجيها، وينازعه منزلته الخطاب الديني بيد أن الأخير خطاب وجداني، والأول خطاب عملي، والثاني له سلطان روحي، والأول له سلطان سياسي متسلط.

وتجتمع هذه الخطابات في أنها موجهة إلى متلق أو تقع بين طرفين مرسل ومتلق، وتشترك أيضا في قنوات التواصل، لكنها تتفاوت في التأثير والإقناع والانتشار، فالغلبة للخطاب الديني والخطاب السياسي والإعلامي، ويعد خطاب السلطة أكثر أنواع الخطاب السياسي انتشارا وهيمنة وفاعلية؛ لأنه مدعم بسلطة أصحاب القرار، وعرف بالخطاب السلطي (أو السلطوي)، بيد أنه لا يبلغ درجة تأثير الخطاب الدينى فى الجماهير على ما يفهمه عليه بعض رجاله من تضيق أو تقطيع أو تكثيف، فبعضهم جرد الدين من أسسه وأهدافه، وجعله فى الزى والقول دون الأهداف الكبرى والمصالح العظمى، وتقديم المبادئ الأساسية على الفروع الاجتهادية التى انشغل بها بعض العلماء عن قضايا الأمة العظمى كالأرض والاقتصاد والإبادة وتفتيت جسد الأمة، وإهدار الطاقات وهجرة الكفاءات، وفساد الإدارة السياسية وهيمنة أهل الجهالات على الأمر واقتصاد الأمة، وهوان أمر المسلمين والاستخفاف بحقوقهم وضياع الشخصية الإسلامية الواعية والصراع بين أبناء الأمة

والفتن الدموية والصراعات الكلامية والعداوة بين أبناء الأمة، وهذا أول مـا يبـدأ بـه الداعيـة الـواعى فى الإصلاح الدينى والتوعية.

وهذا الكتاب واحد من زمر الكتـب التـي كتبـت في هـذا الموضـوع، ويعـد مسـاهمة متواضـعة منـي في الإنتاج الضخم الذي صنعه رجال أحسبهم أكفاء وعلى خير، ونسأل الـلـه تعالى أن يهدينا إلى ما يحبه ويرضـاه من صالح العمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمود أبو المعاطي عكاشة

القاهرة - محمد فريد

الإسكندرية - زيزينيا

شوال ١٤٢٣هـ - ديسمبر ٢٠٠٣م

الخطاب السياسي

الخطاب لغة :

من مادة " خطب "، يقال: خاطب خطابا، فهو مصدر زنة: فاعل فعالا بخلاف الخطبة، فالأصل: خطب: خطبة، وهي المصدر والمرة من خطب زنة فعل فعلة؛ يقال: خطب الناس وخطب فيهم وعليهم خطابة وخطبة: ألقى عليهم خطبة، وهى ما يلقيه الخطيب على جمهور، ويكون الإرسال فيها من طرف المرسل (الخطيب) فقط.

ويقال: خاطبة خطابا ومخاطبة: كالمه وحادثه، ووجه إليه كلاما أو خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه(١)، فالخطاب كلام موجه فيه مشاركة، فبناء " فاعل " يدل على المشاركة بين طرفي الخطاب، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا﴾[النبأ:٣٧]. أي لا يملكون خطابه وهم أهل السماوات والأرض. ومن ذلك قوله تعالى على لسان أحد الأخوين المتخاصمين لداود عليه السلام: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾[ص:٢٣]. أي غلبني في الحديث في بسط حجته على. وقال الراغب: "الخطب والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام" (٢)، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، والخطاب: المواجهة بالكلام أو مراجعة الكلام(٣)، فالخطاب يقتضي حوارا ومشاركة، ولا خطاب إلا باعتبار تضمين معنى المكالمة، وهو الكلام الذي يقصد به الإفهام، أو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه(٤).

---

(١) ارجع إلى: لسان العرب: مادة: خطب. وإلى كتابنا: لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال. مكتبة النهضة المصرية ط١/٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ ص١٦ وصدر عن دار النشر للجامعات سنة ٢٠٠٤م.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مكتبة الأنجلو المصرية. ص٢١٦، مادة خطب.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣/١٩٨٥م مادة خطب جـ٢٣٨/١. والعين للخليل بن أحمد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط١٤٠٨هـ ١٩٨٨م جـ٢٢٢/٤ مادة خطب. وارجع إلى: لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، ص١٦.

(٤) الكليات، معجم المصطلحات، الكفوي، ط مؤسسة الرسالة جـ١٤١٣/٢هـ ١٩٩٣م ص١٩٩٣ (خطب).

الخطاب اصطلاحا :

كلام موجه إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير، أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حوارا أو مشافهة أو كتابة للتأثير والإقناع وتحقيق مقاصد اتصالية. ويقابله في الاصطلاح الغربي: **Discours** ويعني: حديث، وخطاب موجه، ومحاضرة، ومقالة، ورسالة[1]، ويدخل فيه: الحجاج والمحاورة والمناظرة، وكل أشكال التفاعل اللغوى فى التواصل الاجتماعى سواء أكان منطوقا أو مكتوبا. وحمل معنى الخطاب على بنية النص وتراكيبه، وبعض العلماء يريد به النص كله وبعضهم يحيزه فى جملة موجهة وبعضهم يراه فى شكل لغوى موجه.

والخطاب عند الغربيين: كلام موجه يتكون من مجموعة متشابكة من الجمل يتواصل به طرفان من أجل تحقيق مقصديهما من التواصل، أو وحدة متصلة متماسكة تشكل رسالة ذات بداية ونهاية[2].

أو كل خطاب يتواصل به المجتمع، ويتفاعلون به. وهي مفاهيم تؤكد أن الخطاب يقع في وسط اجتماعي يتواصل، وهذا الخطاب مؤلف من مادة لغوية، وأضافت الدراسات الحديثة الحركات والإشارات والرموز إلى الخطاب الشفاهي (المنطوق)، وبعض الدراسات اهتمت باللغة فقط وبعضها اهتمت بالمقاصد الاتصالية، وبعضها اهتم بالمجتمع الذي يتواصل باللغة، وبعضهم استدرك على اللغة التواصلية العناصر غير اللغوية: الحركات والإشارات، والرموز، والزى، والهيئة، وغير ذلك من الأشياء التي تدل على معنى في العالم الخارجي، وهذه العناصر مجتمعة جزء من التواصل الاجتماعي، بيد أن اللغة لها أكبر نصيب في التواصل الاجتماعي، وهي الأصل في النص المكتوب الذي يقوم على بنية لفظية دون العناصر التي تشارك من خارجها، ولكن المفسر للخطاب المكتوب لا يستطيع الاعتماد على البنية النصية وحدها دون أن يستعين بظروف إنتاجها، والعالم الخارجي والعناصر غير اللغوية التي ارتبط بها النص.

---

(١) ارجع إلى كتابنا: لغة الخطاب السياسي ص١٧ - ٢٠ وقد تناولت فيه آراء العلماء في معنى الخطاب اللغوي والاصطلاحي.

(٢) ارجع إلى: تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير) سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١٩٩٣/٢. ص١٧، ١٨. ولغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، ص١٦ وما بعدها.

وقد تأثرت الدراسات العربية بالدراسات الغربية، وظهرت دراسات عربية صدى لهذه الثقافة الوافدة، وتنوعت الاتجاهات تأثرا بالمذاهب الغربية ومدارسها في بحث اللغة، وعلاقتها بالعلوم الإنسانية الأخرى. ويرجع تاريخ بحث مفهوم الخطاب - بمفهومه العام: الأدبي واللغوي إلى علم الألسنية " **Linguistique** " الذي ظهر في العصر الحديث، وهو العلم الذي يهتم بدراسة اللغة ويعتبرها انعكاسا للواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي.وقد امتد نشاط اللسانيين[1] في البحث اللغوي، فتعدوا إطار اللغة إلى دراسة الظاهرة الكلامية أو الاتصالية عامة، فوسعوا مجال الدراسة إلى دراسة الخطاب المنطوق والمكتوب. وأصبح الخطاب بالمعنى الألسني الواسع، يعني كل إنتاج ذهني منطوق أو مكتوب، يقوله فرد أو جماعة رسمية اعتبارية (كالمؤسسات المختلفة التي تنتج الخطاب السياسي، والقانوني، والأدبي ...) وقد يأتي هذا الخطاب في شكل محادثة عادية مشافهة أو حوار رسمي أو مقال مكتوب أو رسالة أو خطبة أو وثيقة أو برقية أو تصريح أو تعليق، وغير ذلك من الأحاديث الموجهة في التواصل الجمعي أو الزوجي (بين اثنين).

ونشأة الخطاب متعلقة بالخطابة التي تعد فن القول الأول في فنون الخطاب: (الخطابة، الحوار، الجدال، المناقشة، الحكي، الحديث)، واليونانيون هم أوائل الذين بحثوا فن الخطابة، وأوائل من وضعوا قواعد أساسية في التواصل اللغوي، ويعد العالم اليوناني " كوراكس **Corax** " أول من اهتم بوضع قواعد خطابية، وتابعه في ذلك تلميذه " تسياس **Tisias** "، وذلك من خلال أسلوب المرافعة في المحاكم، فوضعت الملامح العامة للإقناع، فأصبح أسلوب الإقناع فنا، وظهر في علم مستقل يعرف بعلم البلاغة، وهو العلم الذي يضع القواعد العامة للغة العليا التي تحقق أكبر قدر من التأثير والإقناع، ولهذا العلم اتصال مباشر بنظرية الاتصال، فالاتصال يعتمد على عناصر بلاغية وضعها المشتغلون بهذا العلم، ويعد أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) وتلميذه أرسطو (٣٨٥ - ٣٢٢ ق.م) مؤسسي الدراسات الأول في فن الاتصال، وقد توصلا إلى أن الاتصال فن أو صناعة يتعلمها الإنسان ويتقنها بالمرانة، وجعلاه

---

(١) ارجع إلى: بسام بركة: اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز الإنماء القومي، العددان ١٨، ١٩ شباط/آذار ١٩٨٢م ص٦٥ وما بعدها. وارجع إلى: أميمة مصطفى عبود أمين: قضية الهوية في مصر في السبعينيات. دراسة في تحليل بعض نصوص الخطاب السياسي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص٢ ،٣.

علما مستقلا قال أرسطو (في مقدمة افتتاحه علم البلاغة): إن كل الناس - تقريبا - يحاولون استخدام أفضل الوسائل التعبيرية بما توفر لهم من علم أو من خلال التدريب أو مما اكتسبوه من المواقف، ويؤكد هذه الحقيقة أن الذين تمرنوا على الخطابة ينجحون في تواصلهم، وأن الذين يرسلون خطابا تلقائيا ينجحون أيضا؛ لأنهم اكتسبوا معارفهم في إطار التواصل اليومي. وعدت الخطابة موضوع نظرية الاتصال عند القدماء، وتعد أهم فنون القول عند الإغريق وقد لاقت منهم اهتماما كبيرا[1]، فوضعوا لها أسسا تعليمية، وكانوا أكثر النقاد صرامة لتلك التقنيات التي استخدمت في إطار قانوني في المرافعات والمحاورات والقضايا والجدال، وكان لها استخدام سياسي أيضا في المجالس والاجتماعات، واعتمد عليها السياسيون في المباريات السياسية، والحروب، وكان لها وضع فريد في الفلسفة، فأصحاب هذا الحقل أول من اعتنى بفن القول أو الخطاب، فوضعوا له قواعد تعليمية، وقد ارتبطت علوم أخرى بهذا الحقل النظري وعلى رأسها المنطق. وكان للرومان دور بارز في تطوير فن الخطابة لتلعب دورها كاملا كتقنية من تقنيات الاتصال، ولقد كانت روما من الناحية العملية " مجتمع الاتصال " بالمفهوم العصري، لوجود فكرة رابطة اجتماعية قائمة على الاتصال المنظم والمؤسس، تجاوزت القرون الوسطى إلى عصر النهضة، وآتت ثمارها في العصر الحديث[2].

لقد نشأت الخطابة في القرن الرابع قبل الميلاد، انعكاسا للمخاطبة التي تهدف إلى الإقناع وتقنياته. ويؤكد " بارت " في هذا الصدد أن " التفكير في أمور اللغة " بدأ في الدفاع عن المصالح الشخصية، وابتدع " كوراكس " شكل الخطبة، فقسمها إلى أجزاء كبرى تتوالى بصورة طبيعية، وشكلت هذه التقنية في المخاطبة القاعدة لكل عرض واع بالحجج والبراهين. فيجب أن تبدأ الخطبة " بالاستهلال ", وتهدف إلى تهيئة المستمعين وتعريفهم بالحجج التي ستعقب الاستهلال، ثم تنهي "بخاتمة" تمس قلوب الحاضرين وبين هذين الجزءين قيم تعرض الحقائق " سرديا " ثم تناقش في جزء يسمى " التأكيد ".

ثم مرت الخطابة بالسوفطائيين الذين يؤكدون على القدرة الهائلة للكلام والحجج مع فلسفة ترى أنه لا توجد حقيقة مطلقة للأشياء، فما نسميه حقيقة ليس إلا آراء نسبية

---

(١) ارجع إلى: الاتصال والسلوك الإنساني، ترجمة نخبة من العلماء، معهد الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ص٦٦، ٦٧.
(٢) ثورة الاتصال: برتون وبرو، دار المستقبل العربي، بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٦ : ٢٩.

تستخدم صورا بلاغية محفوظة عن ظهر قلب، ويتم استخدامها بشكل آلي في خدمة كافة السلطات، وهم بذلك يهدمون أهم الأسس التي تقوم عليها حقيقة الأشياء.

وقد أدان كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو جميع الأشكال التي لا تعتمد في الأساس على البحث عن الحقيقة، وتصدوا للاتجاه السوفسطائي الذي يدعو للشك والجدال فقط دون استهداف اليقين أو الحقيقة. وقد عرف أرسطو الخطابة بعيدا عن أداة السلطة للإقناع فرأى أنها فن يكتشف كل ما يتناوله من موضوعات تؤلف عناصره، وتبدو الخطابة عنده عملية سلسة للغاية، ترتبط بالظروف، والمهم في الخطيب قدرته على المواجهة في أي وقت وتكيف خطبته حسب السياق.

وقد تعرضت الخطابة لهزة ضربت أركانها متأثرة بالظروف الاجتماعية في أوربا، فقد فقدت الخطابة أهميتها في العصور الوسطى خلال القرنين السابع عشر والثامن، وهو ما يعرف بالعصر البابوي أو عصر الظلام، بيد أنها شهدت في مقابله اهتماما عظيما في العالم الإسلامي؛ فعاشت في الثقافة الإسلامية العربية أزهى عصورها.

فقد اهتم بها علماء العربية، وأضافوا إليها إنتاجا جديدا وطوروها، وبدأ الاهتمام باللسانيات مع بداية القرن التاسع عشر في أوربا، وظهرت مدارس لغوية، وتبنت المدرسة البنيوية **Structuralism** مع بداية القرن العشرين دراسة الخطاب وأشكاله، واهتمت المدرسة بتحليل اللغة، وانتقلت من مستوى الجملة وحدة تحليلية إلى مستوى تحليل الخطاب كله، فيشمل ذلك تحليل نسق المقولة المكتوبة أو المنطوقة وكذلك أدوات الإقناع أو الجدل **Argumentation** التي يحتويها، لقد اعتمدت المدرسة على البنية النصية ولم تعبأ بغيرها. وترى أن تحليل ألفاظ الخطاب، وما ورد فيه، يكشف عن المعنى الكامن في الخطابات الفكرية، ويتم هذا التحليل بعيدا عن المؤلف أو المبدع، ولهذا اهتم " دي سوسير " بتحليل النصوص الأدبية من الداخل أو بنية العمل ذاته، ولم يدخل في التحليل العوامل الخارجية، مثل الذات المتكلمة، والعالم الخارجي. فالذي يعنيه مضمون الخطاب، فجعله موضوع البحث.

لم تهتم البنيوية بغير النص فلم تدرس دور الفرد أو المبدع، أو أثر الجوانب النفسية في الخطاب، وعلاقة النص بالعالم الخارجي، ولكنها لم تتمسك بذلك طويلا، فقد ظهرت اتجاهات أخرى داخلها ترى أهمية دراسة العناصر الأخرى التي شاركت في إنتاج النص.

وقد أسهمت تيارات أخرى في تحديد مفهوم الخطاب مثل مدرسة " الشكليين الروس " التي أدخلت مفهوم الخطاب إلى الألسنية حيث أدخلت فكرة النسق Systéme على القول أو النطق Enonce، وأصبح الخطاب بمثابة رسالة Message كلية أو قول Enonce، وأصبح الخطاب يعني المرسل والمتكلم والرسالة والقناة، والسياق[1].

وتخطت مرحلة مستوى الجملة التي وضعها فيها البنيوية، وأصبح السياق هو الذي يحكم المعنى. وأولت الدراسة الشكلية الروسية اهتمامها بالمبدع أو المرسل على عكس سابقتها - البنيوية - التي نادت بموت المبدع.

وقد تطور هذا المنهج في دراسة الخطاب على يد إميل بنفينست E. Benveniste، فقد رأى أن القول أو النطق هو التحويل الفردي للسان إلى خطاب، ويفهم هنا الخطاب بمعناه الواسع أن كل نطق أو قول يفترض مرسلا Locuteur ومستمعا أو مرسلا إليه Auditeur، ويقصد المرسل التأثير في المرسل إليه بطريق مختلفة، فالمتلقي هدف المرسل المباشر، والإقناع غايته.

وعالج بنفينست النص من خلال المرسل أو المبدع، في إطار مضمون نطقه أو النص المكتوب عن طريق الضمائر والظروف والأفعال، فالمتكلم يعبر عن نفسه من خلال الملفوظات أو المنطوقات Enoncés التي يقولها، فاللسان عبارة عن مجموعة من العلامات Signes ترتبط مع بعضها بصورة نسقية الهدف منها نقل رسالة المرسل أو فكرته من خلال جمل متسقة نحويا إلى المجتمع المتلقي[2]. وقد رأى فان دايك (داجك) أن ضعف الاهتمام بالخطابة أدى إلى ظهور حقول جديدة من العلوم الاجتماعية والإنسانية، فظهرت نظرية تحليل الخطاب Discourse Analysis Theory، وهي نظرية أكثر تطورا وأشد كلفا بالنص من نظرية الأسلوبيات Stylistics، التي سبقتها وهي نظرية ظهرت حديثا متأثرة

---

(١) ارجع إلى: النقد الأدبي ب. برونل وآخرين، ترجمة هدى وصفي، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٠م ص١١١ وقضية الهوية في مصر في السبعينيات. دراسة في تحليل بعض نصوص الخطاب السياسي ص٩، ١٠. وقد عالجت الزميلة الدكتورة أميمة عبود خطاب السلطة في السبعينات.

(٢) ارجع إلى:

Maingueneau, D., Intiationaux Méthodes de l'analyse du discourse, Paris, Hachette Universite, 1976, P. 8 – 12.

وارجع إلى قضية الهوية في مصر ص١٥ ولغة الخطاب السياسي ص ١٩.

بمناهج البحث العلمى الحديث ووظفت عناصر لغوية وأدبية وبلاغية فى البحث الأسلوبى، وقد قامت على أنقاضها نظرية تحليل الخطاب. وعزى فان دايك ظهور هذه النظرية إلى عوامل عديدة منها[1] أن الثورة البلشفية في روسيا أفرزت أفكارا جديدة في حقول الإنثروبولوجيا (Anthropology) والشعر واللسانيات Sociolinguistics School أدت إلى ظهور مدرسة جديدة سميت بالشكلانية الروسية Russian Formalism، وأشهر علمائها فلاديمير بروب الذي كتب " علم تشكل الحكاية " ١٩٢٨م وقد أبرز فيه تأثر العلوم الإنسانية الحديثة ببعضها، وتولد عن هذا التفاعل الأسس الأولية لنظرية تحليل بنية الخطاب.

وتعد الأعمال التي قام بها ليفي شتراوس Levi- Strauss مرحلة متقدمة فيها، وقد تأثر في أعماله بالشكلانية الروسية، ويعد هذا تحولا آخر في تطور نظرية تحليل الخطاب، وتعد أعماله مصدرا مهما في إحياء علم الإنثروبولوجيا والشعر وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى. وساهم آخرون في ازدهار هذه النظرية. وشهدت نموا كبيرا في الستينات من القرن الماضي، وأهم علماء هذه المرحلة بروب وتودروف ومينز وأبرزهم هايمز Hymes، الذي كتب اللغة في الثقافة والمجتمع ١٩٦٤م.

وتطور البحث فظهر تحليل خطاب إثنوجرافيا الكلام Ethonography[2] وقد كان للتعامل المباشر بين اللسانيات البنيوية والإنثروبولوجيا أثر واضح في دراسة استخدامات اللغة وأثرها في الخطاب، وأشكال الاتصال، وقد ظهرت مدرسة حديثة نتيجة هذا التفاعل تعرف بـ " علم اللغة الاجتماعي School Social Linguistic "، وهي مدرسة تفسر اللغة في ضوء المجتمع الذي أفرزها، والثقافة التي تنتمي إليها، والتاريخ.

وتهدف نظرية تحليل الخطاب إلى إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدة اللغوية موضوع الدراسة، والهدف من ذلك مساعدة المتلقي (القارئ، أو المستمع) في معرفة الخطاب وفهمه فهما يتناسب والسياقات الاجتماعية، ولهذا الوصف الشمولي بعدان هما: النص Text، والسياق Context، والنص يمثل بنية الخطاب، والسياق يدخل فيه البنية والعالم الخارجي

(١) ارجع إلى: البحث الذي أعده الدكتور علي بن شويل القرني عن الخطاب الإعلامي العربي، مجلة الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، يناير ١٩٩٧، ص٣٨.

(٢) الإنثوجرافيا: علم دراسة الإنسان أو دراسة الأمم والأقوام.

وظروف إنتاج النص، والمشاركون فيه وزمنه ومكانه. وقد ظهر اتجاهان في تحليل الخطاب: أحدهما: الاتجاه الذي تبناه كينيث بايك Pike وزملاؤه، وقد رأوا أن تحليل الخطاب في تطور حقل الإنثروبولوجيا ودراسة اللغات غير المعروفة، فيستعين الباحث في فهم هذه اللغة بالسياق الاجتماعي والعوامل غير اللغوية[1].

والاتجاه الثاني تبناه زيلج هاريس الأمريكي Zellig Harris أوائل الخمسينات، وهو الذي أرسى مصطلح تحليل الخطاب Discourse Analysis في الحقل اللغوي، فظهر في كتاباته بدء الخمسينات.

وهو أول لساني وسع موضوع البحث اللساني، فتعدى الجملة إلى الخطاب، وظهرت على يديه نزعة بنيوية جديدة قامت بدور فعال في تحديد مفهوم الخطاب، وهي الألسنية التوزيعية Linguistque Distributionelle، ويعد رائدها الأول، فقد درس عناصر اللسان الخاصة بالقول أو النطق خارج إطار الجملة، فأصبح الخطاب يعني بدراسة مجموعة القواعد التي تربط بين الجمل مكونة القول أو الفعل Enonce[2].

واقترح البحث عن أنماط خطابية تعتمد على وحدات وبنيات شكلانية متساوية بين الجمل التي يتكون منها الخطاب.

وحاولت بعض الدراسات الجمع بين هذين الاتجاهين، وقد لاحظ دي بوجراند أن مدرسة اللسانيات الأمريكية تبنت الاتجاه الذي تزعمه هارس، وقد نافست نظرية تشومسكي اللغوية هذا الاتجاه، واستطاعت أن تحتل موقعه في الساحة الأكاديمية، وعرفت بالنظرية التوليدية، وقد هدفت إلى وصف بنية الجملة من خلال اللغة كلها وليس من خطاب، فوصفت اللغة من خلال قواعد التكوين والتوليد[3].

وقد قدم تشومسكي N. Chomsky مستويين تركيبين أحدهما سطحي Face Structure وآخر عميق Deep Structure، ووضع قواعد لتحويل تركيب إلى آخر،

---

(١) ارجع إلى: تحليل الخطاب الروائي ص١٧ والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٦٥. ولغة الخطاب السياسي، محمود عكاشة، ص١٧.

(٢) Intitationaux Méthodesde l'analyse du discourse, P. 8 – 11.

(٣) ارجع إلى: تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير) سعيد يقطين، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، ط٢ / ١٩٩٣ ص١٧.

وهذا ما أوضحته النظرية النحوية التوليدية التحويلية على يد تشومسكي، من خلال تعبيري الكفاءة (القدرة اللغوية) Competence، والأداء (اللغوي الناتج) Pre-formance، وأن اهتمام البحث اللغوي، يجب أن يهتم بالكفاءة التي تعبر عن الوسائل المتوفرة لدى الذات المتكلمة لتعبر عن نفسها أو عن معلوماتها اللغوية تجاه المعلومات اللغوية للسامع[1].

وهناك اتجاه آخر يطلق عليه المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب Francaise d'analyse du L'ecole discourse حيث يقع مفهوم الخطاب فيها بين مفهوم قول ومفهوم خطاب Enonce / discourse، فالقول هنا هو تعاقب الجمل المرسلة بين دلالتين أو موقفين اتصاليين، أما الخطاب فهو القول الذي يمثل آلية (ميكانزم) خطابية، والتي تكون أحد شروطه أيضا، فإذا نظرنا إلى النص من ناحية بنائه اللساني، فهو القول، وإذا نظرنا إليه من ناحية الدراسة اللسانية التي تبحث في شروط وظروف إنتاج النص، فهو الخطاب.

وبناءا على هذا يصبح القول كل ما يضع حدودا للجملة في بنائها الألسني الضيق، أما الخطاب فهو النص في ضوء ظروف إنتاج هذا القول، والذي يظهرفي أكثر من جملة؛ لأنه لا يوجد خطاب في صورة جملة واحدة. ويحاول ديكرو O. Ducrot، وضع نوعين من المكونات في التفسير الدلالي للقول الألسني، وهما: التكوين الألسني Composant Linguistique، ويقصد به المعنى الأدبي للقول أو النطق بعيدا عن السياق المحدد، لهذا النطق.

والتكوين البلاغي Composant Rhétorique، ويفسر التكوين البلاغي من خلال موقف اتصالي محدد، ويمثله القول والموقف الاتصالي، والخطاب: énoncé'situation de communication / discourse وهذا يعني أنه يعرف معنى القول أو النطق خارج إطار سياق القول، ويحدد أهمية القول ومغزاه من خلال ظروف الاتصال، وهي التي تشكل الخطاب.

(١) N. Chamsky, Aspectes of the theory of syntax, Cambridge. M.I.T. Press, 1965. وارجع إلي الدكتور ميشال زكريا الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط / ٢ / ١٤٠٦هـ , ١٩٨٦م ص٣٢،٣٣.

وإذا اعتددنا معنى القول أو النطق من خلال سياقه الذي جاء فيه، فإنه سيصبح خطابا، مع وجود بعدين آخرين، هما صاحب الخطاب، والقصد منه، وتبين من ذلك عدم وضوح مفهوم المصطلحين في الدراسات اللسانية، ويرجع ذلك إلى اختلاف العلماء في تحديد مفهوم واضح للمصطلحات، واختلاف المنهج، والأسلوب الذي يعالج به الخطاب واختلاف ظروف الإنتاج واختلاف الموقف الاتصالي أو ظروف الاتصال:condilions de production / circonstonces de communication فالقول خارج النص يفسر على أنه موضوعات اجتماعية تاريخية social historique في صورة خطاب[1].

ووجدت صعوبة أخرى في التفريق بين مفهوم " خطاب " وبين اللسان " اللغة " / discourslim langue، وهذا يختلف عن ثنائية دي سوسير " اللغة Longue والكلام Parole "، ويختلف عن الرمز والرسالة code et message عند ياكبسون، ويختلف عن صورة النظام والنص systeme et texte عند يلمسليف، وصورة الكفاءة والأداءCompétence et performance عند تشومسكي، ويختلف عن صورة اللغة والخطاب Langue et discourse عند جيوم[2].

فاللسان يعني مجموعة محددة وثابتة نسبيا من العناصر، بينما يعني الخطاب مكانا يمارس فيه الإبداع، وهو بمثابة سياق تجتمع فيه القيم الجديدة لوحدات اللسان (اللغة)[3].

والخطاب جزء من اللسان، ويرجع الخلاف في هذه المصطلحات وعدم وضوحها إلى مواضع توظيفها، فقد تكون مترادفة في بعض السياقات، وقد تختلف في سياقات أخرى، فالخطاب يسمى نصا في ضوء بنيته اللغوية، وقولا تداوليا وخطابا في التواصل اليومي والمحادثة، فالسياق يضبط المراد بهذه المصطلحات، وينسق وظائفها ويحدد مفاهيمها.

وقد كان الخطاب قديما يعني خطبة أو خطاب اللـه تعالى لعباده أو الكلام بين المجتمع كالخطاب اليومي. وقد تطور المفهوم فشمل كافة الأشكال اللغوية بعد أن كان يعني مجموعة المفاهيم والألفاظ والعبارات، فأصبح يعني تلك الألفاظ والعبارات، والمعاني الكامنة وراءها إلى جانب الإيحاءات المختلفة للنصوص، واللغة التي يتحدث بها المتخصصون، فقد أصبح

---

(١) ارجع إلى: لغة الخطاب السياسي ص ٢٠ , ٢١ , ٢٣ وقضية الهوية في مصر ص١٨.
(٢) اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٩م ص١٩.
(٣) ارجع إلي: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ص ٣٢ , ٣٣ .

لكل تخصص خطاب يعرف به[1]. ولعل اتساع المفهوم والوظيفة التي يؤديها الخطاب هما سببا تداخل معنى الخطاب في مفاهيم بعض الألفاظ الأخرى مثل النص texte والكلام parole والقول أو التلفظ Enonce والخطاب عامة في الاصطلاح Discourse مكتوبا ومنطوقا، وأما النص فيصطلح عليه بـ " text " مكتوبا written text ومنطوقا spoken text.

وقد يعني بمفهوم الخطاب مجموعة من النصوص، عند بعض دارسي الخطاب السياسي عندما نتحدث عن الفكر العربي أو غيره، ويراد بمنتجات هذا الفكر، مجموعة النصوص التى ينتجها المرسل، والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فالاتصال بين الكاتب والقارئ يتم عبر النص، مثل الاتصال بين المتكلم والسامع، فالأول خطاب مقروء، والثانى مسموع يتم عبر الكلام، أي عبر الإشارات الصوتية. و يسهم القارئ مساهمة فعالة في تحقيق " الاتصال الكتابي " عبر النص، فالكاتب يستحضر القارئ ويتوقع رد فعله والقصد من إنتاج النص توجيه رسالة له، فالكاتب لا يكتب لذاته بل لمتلق. وظهر اتجاه جديد اهتم بالخطابات الحية - وهو متأثر بالمدرسة الأوروبية التي اهتمت بالخطابات المعاصرة - واهتم كذلك بعملية القراءة وأثرها في الخطاب، وربط بينها وبين اللغة وتحليل النص، وربط بين اللغة واستخدامها، وهو الأساس الذي تقوم عليه نظرية تحليل الخطاب، وعالج الجمل في الخطاب وتنوعها، وكذلك الجمل التي تسمى خطابات، وهي الجمل الموجهة.

وتختلف دلالة الكلمة في الخطاب باختلاف السياق اللغوي والسياق الخارجي، واختلاف موضوع الخطاب، وهو ما تهتم به النظرية، فتحليل الخطاب يعالج اللغة عامة، ويرفض أن يكون في اللغة نظام واحد، فالخطابات تتعدد بتعدد موضوعها، وطرفي الاتصال، والمعاني تتولد من تفاعل الاختلاف في المجتمع، فالخطابات المتعددة تصنع أنظمة متعددة،

---

(١) ارجع إلى: التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر ١٩٥٢م – ١٩٧٠م، مارلين نصر- طبعة مركز الدراسات الوحدة العربية ١٩٨٤م ص٤١. وقضية الهوية في مصر في السبعينيات. دراسة في تحليل بعض النصوص الخطاب السياسي ص٤.

وارجع إلى: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة دكتور جابر عصفور. دار الفكر للدراسات والنشر- والتوزيع ١٩٩١م، القاهرة ص٣٧.

وارجع إلى: النقد الاجتماعي: نحو علم اجتماع للنص الأدبي، بيير زيما، ترجمة عايدة لطفي، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر- والتوزيع ١٩٩١م ص٢٩٦.

وتنتجها أنظمة متعددة، والمؤسسات الاجتماعية ذوات أنشطة مختلفة وأساليب تعبير مختلفة تعبر عـن شخصـية هـذه المؤسسـات، ويمكـن معرفـة ذلـك مـن خـلال المفـردات وتوظيفهـا، والمصـطلحات والتراكيـب الاصطلاحية والتصريحات، وهي التـي تحمـل الفكـر وتعطـي صـورة عـن مضـمون الخطـاب، ولكـل مؤسسـة اجتماعية خطاب خاص، فللسلطة خطاب وللسياسة عامة خطـاب وللـدين خطـاب ولـلأدب خطـاب وللإعـلام خطاب، فكل مجال له خطابه الخاص، وكل مسئول عن خطابه، والخطابات السياسية قد تتضمن أفكـارا تعـبر عن أصحابها وتجسد مذهبهم السياسى، وقد تعبر عـن مضـامين كاذبـة صـنعت لخـداع المتلقـى وتوجيهـه إلى أهداف السلطة.

** ** ** **

خطاب السلطة

توجهت دراسات حديثة إلى دراسة الخطابات المؤثرة مثل: الخطاب الديني والسياسي والفلسفي، وغير ذلك من الخطابات المؤثرة في حياة الناس ومصالحهم وتكوينهم الثقافي .

وخطاب السلطة واحد من الخطابات المؤثرة والشائعة، فهو أغنى الخطابات نفوذا، وأقواها هيمنة وأوسعها انتشارا، ويزاحمه مكانته الخطاب الديني، بيد أن الأخير أقوى تأثيرا منه، ولكنه لا يجد دعما سلطيا بل فرديا، وترعاه بعض المؤسسات الدينية والأهلية، ويرجع ذلك إلى العزلة التي تفرض عليه داخليا وخارجيا، إن لم تكن حربا، والعزلة التي فرضها أصحابه على أنفسهم خشية التواصل مع الآخر أحيانا؛ وعزوفا عن الدخول تحت عباءة السلطة !

وبعض رجال الدين يتخذون خطابا تقليديا غير مؤثر، ولكن التيارات الدينية السياسى منها إستطاع أن يقدم خطابا موثرا يتفاعل مع الجماهير ويمس معايشهم وأهدافهم، فحقق هذا الخطاب شعبية كبيرة حققت للتيار الدينى مكاسب سياسية.

وخطاب السلطة: ما تصدره السلطة من إنتاج كلامي مكتوب أو منطوق، أو رمز تعبيري موجه إلى جمهور مستهدف أو مقصود؛ لإقناعه وتوجيهه إلى مقاصدها[1].

وهو خطاب موجه للجماهير لتحقيق أهداف السلطة، ويوظف رجال السلطة فيه مؤثرات عملية وروحية لاستقطـــاب الجمهور وإقناعه .

ويعد خطاب السلطة نوعا في الخطاب السياسي، فالخطاب السياسي: خطاب ينتجه المفكرون السياسيون أو المشتغلون بالسياسية أو المهتمون بها، ويتناول موضوعا يتعلق بالسلطة، أو الدولة أو الدول الخارجية، وهو يصنعه سياسيون من داخل السلطة ومن خارجها، وخطاب السلطة يصنعه أصحاب القرار في الدولة أو القياديون فيها، أو معدون من داخل السلطة أو من حاشيتها، فالخطاب السياسي أعم من خطاب السلطة؛ لأنه يشمل الإنتاج السياسي للخطاب العام أو كل خطاب يتناول موضوعا سياسيا أو قضية تتعلق

---

(١) ارجع إلى: مدخل لدراسة النص والسلطة، عمر أوغان. أفريقيا. الشرق ط١/١٩٩١ ص١٥. وارجع إلى لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة ص١٦ وما بعدها. ونحو سيمياء الخطاب السلطوي، شيلفرآلن، مجلة بيت الحكمة، العدد الخامس، السنة الثانية، الدار البيضاء ١٩٨٧م , المغرب.

بالدولة وسلطتها أو السياسة الخارجية، ويشمل كذلك الإنتاج السياسي الدولي عند من اتخذ السياسة موضوعا، وهم السياسيون والحاكمون أو السلطة الحاكمة ورجال الأحزاب والمشتغلون بالسياسة من المفكرين والكتاب، والباحثين السياسيين ومعدي برامج السياسة، وهم الطرف الأول في الاتصال السياسي، بيد أن خطاب السلطة ينتجه أصحاب القرار في الدولة أو ذوو السلطان السياسي، ويحمل شخصية المؤسسة التي تنتجه ويعبر عنها داخليا وخارجيا، وهذا النوع من الخطاب السياسي يختلف عن بقية الخطابات السياسية، فهو مدعوم بقوة سلطة أصحاب القرار ومؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية التى تدعمها السلطة، ولا يعبر عن شخص قائله بل يعبر عن النظام الحاكم جميعه أو عن سياسة الدولة أو مذهب الإدارة الحاكمة وسياستها داخليا وخارجيا, ولا يعبر في مضمونه عن اتجاه شخص واحد بل يعبر عن نظام شمولي جماعي تدعمه السلطة السياسية التى تدعمها السلطة، ويرى أصحاب هذا الخطاب خطابهم شرعيا أو دستوريا وما عداه هزلا وكذبا، فخطاب الأحزاب المعارضة - حسب رأيهم - غير شرعي وكذوب؛ لأنه ينقض خطابهم، وكل خطاب معارض لا يعترف بالسلطة، يعد مارقا، وترد عليه السلطة بخطاب يهدمه ويغيبه، وتضع بديلا له يعبر عن فكرها وإرادتها السياسية، أو تغذي خطابا آخر متطرفا - أحيانا - فتدفع به إليه، وهي من ورائه.

وخطاب السلطة من ناحية الإعداد جماعي، ومقصود ويصنع على أيادي صانعي القرار وأعوانهم، وتتدخل في صياغته عوامل كثيرة وله أبعاد خفية وأبعاد ظاهرة، وتشوبه أحيانا لغة الكذب أو التعريض، فلغته مصنوعة أو مفتعلة، ولا تعبر عن وجدان قائلها في دلالاتها، ويحكمها الطابع الرسمي، وتستعين بقوالب ثابتة وأشكال مألوفة، فلا يجد فيه المتلقي متعة ولا يستبد بحواسه، بيد أنه يشغله المضمون أو الفكرة أو الخبر الذي يريد معرفته، ولا يهتم به المتلقي تعلقا به أو ولها بمبادئه بل علاقته به علاقة مصلحة لا إمتاع، ولكن بعض الخطابات الإيديولوجية الكارزمية لها أنصارها ومحبوها الذين يؤمنون بها مذهبا سياسيا.

ويدعم السلطيون خطابهم ببعض الصور والأحداث التى تستخدم أدلة إثبات، والخطاب العربي تستغرقه الأحداث الماضية، والشعور بالاضطهاد والمؤامرة، ويرى فى نفسه المخلص الفريد وأنه المنقذ من العثرات فينسب لنفسه الحلول والمعجزات، ويرى فى نفسه العقل والحكمة وغيره لا يستوعب فهمه ولا يقدر قدره، وتهيمن عليه روح الإثارة والخيال

والكلمات العامة واسعة الدلالة وتصاحبها عناصر صوتية لإثارة الجماهير، فلا يتوازن أحيانا مـع الواقـع ولا يعبر عن يقين أو حقيقة واضحة.

ويوظف السلطيون عناصر الخطابة العربية وصورها عند القـدماء في سياق لا يسـتوعب هـذه المعـاني المجازية المثيرة التي لا تواقع حياة الناس وليس في قيلها حفـظ مصـالحهم، وهـذه الخطابـات المثـيرة يفسرهـا غيرهم تفسيرا عمليا ويقيم عليها أحكاما ويتخذها مطعنا في الأنظمة العربية التـي تخاطـب الآخـرين خطابـا عشوائيا غير مستوعبين تبعاته وسوء تفسيره في ثقافة أخرى لا تستوعب مؤثرات الخطاب العربي، ويؤكد سوء التفسير هيئة المتكلم وحركاته وسلوكه وممارساته التي تصاحب أداء الخطاب وظروف قيله وعلاقته بالآخرين وسياسته المحليـة والخارجيـة فتفسر كلـمات الخطـاب وانفعـالات المـتكلم في ضـوء هـذه العنـاصر، فيحقـق الخطاب نتائج سلبية خارجيا، وتقطع خيوط الاتصال بالآخرين وتضار المصالح وتخفق الأهداف، وهذا يتطلب إعادة النظر في وسائل الاتصال بالجماهير على نحو معاصر يجانس ظروف العصر ويحقـق المصـالح، ويوجـب معرفة الاتصال بالآخرين ووسائل إقناعه وأسلوب مخاطبته وعوامل التأثير فيه.

** ** ** **

علاقة اللغة بالسياسة

توجد علاقة قوية بين اللغة والسياسة، فاللغة لسان السياسة، والقناة التي تحمل أفكارها وتحقق مقاصدها في الشعب، وهي من أهم وسائل التأثير الجماهيري، فاللغة بمنزلة سلطة أخرى يستخدمها أصحاب القرار في قمع الوجدان الجماهيري والهيمنة عليه، وتستعيض بها عن السلاح في مواجهة الخصوم السياسيين داخليا وخارجيا، فاللغة السياسية المنتقاة والموجهة لها وقع السلاح في المعارك السياسية، وقد قال معاوية رضى الله عنه : " لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني "، وقد كانت سياسة معاوية حكيمة، وسلاحه فيها الكلمة. واستطاع زعماء سياسيون بسط نفوذهم السياسي من خلال اللغة، وقاد كثير من الثوار ثوراتهم باللغة الخطابية التي أثرت في الجماهير، فانتفضت ضد الأوضاع السياسية وأجابت دعوة زعيمها في منفاه، والنظريات السياسية في الحكم ليست إلا أفكارا في جمل، يتبناها أحد الثوار، ويقيم دولة عليها، أو يتبناها حزب من الأحزاب في حكمه، وبعض الدول الحديثة يقوم نظامها السياسي على مذاهب فكرية سياسية مادتها الألفاظ، وزعامة الزعماء تنشأ أول الأمر على المنابر السياسية، ثم المواقف التي تصنع الزعماء، والشعب يتعرف على فكر قائده من لغته، فيحدثه حتى يراه، ففضل اللغة على السياسة كفضل الماء على الأحياء، وللسياسة فضل كبير أيضا على اللغة، ولكنه ليس كفضل اللغة عليها، فالسياسة قد تكون سببا مباشرا في انتشار اللغة في مواطن اللغات الأخرى، فتسكن مساكنها، فتصبح اللسان الرسمي، وتصبح هذه اللغات ميتة أو تعيش في أماكن نائية غير رسمية.

ولقوة الدولة دور كبير في انتشارها، فسلطة الأمة وقوة نفوذها يساعدانها على نشر لغتها وثقافتها، والأمم الضعيفة عبيدة لغة الأمم القوية وأسيرة خطابها وسلوكها، وقد اتسعت بعض اللغات باتساع حدود الدولة ونفوذها السياسى والاقتصادى.

واللغة أهم سلاح توظفه السلطة في خدمة مصالحها، وهو غير مكلف ماديا، وتلقى المفردات السياسية الموجهة دعما سلطيا، يعينها على الانتشار السريع داخليا وخارجيا بما تملكه من وسائل إعلامية متنوعة، وأعان على ذلك تطور وسائل الاتصال وانفتاح العالم إعلاميا وتواصله السريع، فلم يعد المتلقي أسير الإعلام السلطي الداخلي الموجه إلى مقاصد السلطة، والتي تحرص ليل نهار على تعبئة الجمهور بما تمليه عليه. لقد تحرر المتلقي من الأسر الإعلامي السلطي، وانفتح على العالم الخارجي، وأصبح في تواصل مع القنوات الخارجية

التي تشوبها الشبهة هي الأخرى، بيد أن المتلقي الواعي يستطيع التعرف على الحقيقة من خلال المعلومات المتناقضة التي تقدم إليه في موضوع واحد، وأقل ما يمكن أن يصل إليه من تلك الرسائل المصنوعة سياسيا، أنها ليست كل الحقيقة، وأن مضمونها يحتاج مراجعة، فلا يرتاح إلى كل ما قدم إليه، وقد افتضحت أنظمة كثيرة كانت تضمن خطابتها أكاذيب وأخبارا مصنوعة تخفي بها الحقيقة أو تعمي بها على الجمهور، وما تقدمه للجمهور من مبررات لتجد لنفسها سبيلا شرعيا فيما تمارسه من قمع أو ظلم، وتقدم مبرراتها، وما لخصومها، وهي الخصم والحكم! فتحكم بما تراه لنفسها دون أن تعترف بحق خصمها، فالمعارضة أو الرأي الآخر منبوذ وخارج عن النظام، وآثم في كل أمره، وغير شرعي، وهو غائب أو مغيب وليس له حضور، ومصطلح " معارض " في السياسة العربية بمعنى مارق، ويحتاج تصحيحا إعلاميا، لكنه أخيرا استطاع أن يجد لنفسه حضورا في القنوات الخاصة التي تتاجر هي الأخرى بالآخر، وتوظفه في تحقيق أرباح عالية، والآخر يرتمي في أحضانها وكأنه وجد مخلصا، وهو لا يدري أنه رهين المكسب والخسارة والمساومة، وأنه لا يسمح له إلا في إطار ما يحقق أرباحا لا ما ينصفه، فالقنوات الخاصة يقوم معظمها من أجل المال، لكنها قد تقول الحقيقة المربحة التي تستقطب بها الجماهير، وقد أجازت بعض الدول المتقدمة بعض وسائل الإعلام التي تعبر عن صوت المعارضة، ولكنها ليست حرة في كل أمرها، فلا تقول إلا ما تسمح به السلطة، ومازال خطاب المعارضة غائبا عن الساحة السياسية، والدول الكبرى التي تدعي في نفسها النزاهة والحرية هي نفسها التي تسلب إرادة الدول الضعيفة، ومن يخالف سياستها داخليا وخارجيا يكون مارقا أو متطرفا أو عدوا لمصالح الوطن والأمن القومى.

والدول التي تزعم أنها حضارية، ليست حضارية في كل سلوكها، وليست متحضرة في كل أمرها مع الدول التي تستنزفها، وأياديها ليست نظيفة مع الأنظمة الفاسدة التي تتبعها، وتحقق مصالحها، فمصطلح " دكتاتور " في مفهوم القوة المتسلطة لا يعني صاحب السلطة الغشوم الظالم بل يعني " رجل السلطة المتمرد " الذي لا يوالي دكتاتور العالم الأعظم، فالأخير يصدر قائمة بأسماء الحكام المتعسفين في العالم، ويعني بهم الحكام المارقين الذين لا يخضعون لنفوذه، واستخصلت لهؤلاء مصطلحات مثل: مارق، دكتاتور، فاشي، نازى، دموي، إرهابي، متطرف، متعصب، طاغية، وتتعقب أخباره، وتثير عليه خصومه، وتوظف وسائل الإعلام في إقناع الجماهير بهذه المفردات، ثم تنطلق بعد أن تعد الجماهير نفسيا، - وقد شحنتهم

بالأكاذيب - إلى محاكمته، فلا يجد راثيا أو باكيا أو مخلصا أو منصفا، والإعلام السياسي الدولي يضلل الجماهير عن الحقيقة، فلا يقول إلا ما تمليه عليه جماعات خفية ترسم خططها العالمية في الظلام، وتجند الدول الكبرى جنودا لها في مجال الإعلام يصنعون الأخبار الكاذبة، أو تسرب وكالات الاستخبارات معلومات مصنوعة لأهداف سياسية وعسكرية واقتصادية[1].

وقد تجند هذه الوكالات جماعات المقاومة فى بلد يقاتل عدوا؛ وقد يخدع أفرادها بما تقدمه هذه الوكالات من دعم سياسى ومادى، لا لرغبتها فى العدل وحرية الشعب، بل لأن العدو الذى يقاتله رجال المقاومة عدو لها، فتكون من ورائهم حتى تحقق مصالحها، فتنقلب على أصدقاء الأمس فى الصباح، ويصبح المجاهدون متطرفين وأعداء السلام العالمى ومحور الشر وأعوان الإرهاب ويصبح مصطلح " الجهاد " تهمة يؤخذ بها، فالجهاد يعنى فى اصطلاحها الجديد إرهاب وتطرف؛ لأنه ضد مصالحها، وكان جهادا شرعيا عندما قاتلوا عدو القطب الأعظم.

وتعد السياسة من أقوى المؤثرات في حياة اللغة، لما لها من سلطة نافذة، تستطيع بها اختراق الحجب، وقفز الحواجز، واجتياز الموانع بما تملكه من قوة مؤثرة تستطيع بها توظيف كافة الإمكانات في خدمة مقاصدها وتحقيق أهدافها، فالسياسيون يدعمون كل ما يتعلق بخططهم ومصالحهم، ويؤازرون من يوافقهم، ولهم القدرة على توجيه طاقات رعاياهم إلى أهدافهم المعلنة والخفية، فالناس عبيد أمرائهم، والأمراء عبيد السلطة.

ويضع كل نظام سياسي معجما خاصا به، تستطيع أن تتعرف عليه من خلال جملة المفردات التي يرددها، ويمكنك كذلك التعرف على هويته السياسية من خلال مضمون خطابه، فالحقول الدلالية لمادة الألفاظ وكثافتها في خطاب معين تعطيك مؤشرا لفظيا عن اتجاه صاحب الخطاب وانتمائه السياسي، فالمفردات التي يستخدمها الاشتراكيون تميزهم عن المفردات التي يستخدمها الرأسماليون، فالمصطلحات: العدالة الاجتماعية، والانتهازية، الأمة، القومية، الاتحادية، الأنانية، الطبقية، البرجوازية، الإقطاع، سيطرة رأس المال، التقدمية، وغيرها من المصطلحات تتردد كثيرا في معجم الدول الاشتراكية، وتستخدم الرأسمالية في

(١) ارجع إلى كتاب "الحجاب" الذي صدر عن نشاط وكالة الاستخبارات الأمريكية في العالم في الفترة الأخيرة.

مقابل ذلك: رأس المال، الحرية الشخصية، الفردية، وغيرها من المصطلحات التي لا تحمل في مضمونها تكوين جماعي اتحادي تربطه مصالح، فالأول يكرس القوة في الجماعة، ويغيب الذات، والثاني يأله الذات الفردية ويعلو بها، ويقدس استقلالها.

والسياسيون يضعون ألفاظا خاصة، وتراكيب تعبر عن فكرهم، ويستخدمون مفردات بدلالات يختارونها ويلزمون الناس تصديقها والعمل بها، ويوظفون لذلك وسائل الإعلام التي تمارس أشكالا متعددة من القهر والعسف لإرغام المتلقي على الأخذ بهذه المعاني، وتصديق هذه المفردات، فلا يجد مفرا منها، وليس له ملاذ إلا أن يحتبى بها، فتتسرب إلى خطابه وتلزمه في اليقظة والنوم يرددها دون اقتناع بمضمونها، وقد يرد عليها بنكات ساخرة، أو يستخدمها في سياقات أخرى ساخرا منها، وهذا شأن المجتمع المصري الذي يعبر عن رفضه السياسي بنكات ساخرة في ظاهرها ضحكات وفي باطنها عذاب أليم.

وتعمي على المتلقي دلالات المفردات، ومعجم المعاني، وتنقل المفردات من سياقها إلى ما ليست له في أصل الوضع، فالمجاهد إرهابي ومتطرف، والمعارض مخرب، وموجه من الخارج ومن الخوارج، أو مارق، وعدو النظام، وتستعين وسائل الإعلام بالصوت والصورة، فترسم للمعارضة مثلا ثيابا بيضا قصارا ولحي، وتصنع أردية أخرى لمن خالفها من كافة الاتجاهات والمشارب، فتسمه بالتطرف والإرهاب، ويصبح مفهوم التدين تطرفا يستدعي عند المتلقي كافة أشكال الحقب المظلمة في تاريخ الإنسانية، وتصبح الصورة دليلا على الفرد، ويصبح المعنى سلطانا على الذهن، ولا يستطيع صاحب المفهوم إزاحته عن نفسه بصوته الضعيف، ويفشل كذلك في وضع مفهوم جديد أو تصور، ويحاول أن يعيد رسم الصورة مرة ثانية بعيدا عن كل ما يربطها بالدلالة الأولى، وهذا يتطلب منه عمرا جديدا، وقد تذهب سدى كل الجهود أمام السيل العرم من التدفق الإعلامي الموظف من السلطة، ومن القوى الخارجية، فيسري سراء النار في الهشيم، فيلتهم كل الجهود، وهذا مصير معظم الخطابات التي لا تجد سلطة تدعمها.

وقد يكون الإعلام المسيس ضعيف الشخصية إمعة يتابع كل الاتجاهات ويحاكي غيره دون نظر فيما سمع أو قلد، فيردد مررا ما سمعه تردد الصدى في الجبل الأصم، وقد يكون هذا الصدى نعاقا عليه ودليلا يجلب عليه الوحوش، فالإعلام ردد حينا من الدهر ما يلحقه الإعلام الغربي بالإسلام والمسلمين من أكاذيب، وأعان على ذلك رجال من العرب، ورضى

بمفردات ذات دلالات فاسدة، واستعان بها لضرب خصوم السلطة من التيارات الإسلامية، فاستيقظت السلطة على صوت نذير الخطر، فالغرب الذي صنع الأكاذيب وصدقت السلطات الحاكمة فى العالم الإسلامى ظنه، فصدق الغرب أكاذيبه وعدها حقيقة، فجعل يعاقب السلطات في العالم الإسلامي عليها، وقد كانوا أولياءه بالأمس، فتبرأ منهم، فتبرءوا هم من دينهم ومن كل ما يمتد إليه نسبه. وارتدت السلطة تشحذ الهمم للدفاع عنها وليس عن الإسلام فالدفاع ليس عن الإسلام وتصحيح مفهومه عند الآخر، بل المستهدف الدفاع عن أنفسهم، والإسلام يحتاج أولا من يدافع عنه في العالم الإسلامي، ويصحح مفهومه ؟!

فالإسلام بات غريبا في أرضه، وأعاد بعض المسلمين طرح بعض الموضوعات قطعية الثبوت بالنص، فتشككوا في الحجاب واللحية، والجهاد، وعلاقة الإسلام بالسلطة، وأعادوا بسط موضوعات ليست جوهرية مثل الختان والخلع، وعمل المرأة، وطول اللحية والثياب، فشغلوا الناس بها عن النظر في القضايا الجوهرية، وحيزوا الإسلام وهمشوه فى قضايا لا تمثل أساس العقيدة ومصالح الناس الدنيوية، وفرغوا الدين من مضمونه الشمولى العام وكثفوه فى قضايا غير أساسية.

والسياسيون يثيرون بعض القضايا الجدلية التي يتورط في تناولها بعض علماء الدين والمفكرين، فتصرفهم عن النظر في قضايا الفساد والتخريب التي تهدد الأمة مثل الاستنساخ ونقل الأعضاء واستئجار الأرحام، وظهرت مفاهيم مكذوبة نحو: الإسلام السياسي، الحرية الشخصية، حرية الفكر، الخطاب الديني، التطرف الإسلامي، والمسلمين المتطرفين، والحكم الديني، والدولة المدنية، والتنوير (يراد به التغريب) وغير ذلك من المفاهيم التي وظفت باطلا أو استخدمت خطأ، ولم تجد من يصححها، أو يضعها في سياقها الصحيح، فاقتران التطرف بالإسلام طعن فيه، كمن يلحق المعصية بقدر الله تعالى والإعلام ينعق بما يحاك له وبما لا يعي، ويردد ولا يأبه بما يلقيه حتى تفشي المفاهيم في الناس، فينتبه بعد أمة لفداحة الخطأ، فيرتد على عقبيه، ليصلح ما أفسد، فيذهب نصحه سدى، كمن يرغب في التوبة وهو يغرغر غرغرة الموت.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل هذه القضايا التي أثير فيها الجدل حديثا في الدين كانت موضع جدل عبر تاريخ الإسلام ولم تحسم؟! أم أنهم جادلوا فيها حديثا لضعف إيمانهم بها؟! وأرى الرأى الأخير، فضعف الإيمان بالدين تسرب منه الشك في موضوعات ليست

موضع خلاف، والجهل بالدين ولغته سببان رئيسان في تفسير النصوص في ضوء الثقافة الغربية تفسيرا باطلا، وكذلك عدم فهم التراث والجهل بأسراره، وعدم تفسير النص في ضوء ظروفه التاريخية والاجتماعية التي عاصرت إنتاجه، فبعض المحدثين يعالجون النصوص القديمة معالجة معاصرة. أو يفسرونها في ضوء عصرنا الحديث، وقد يفسرون النص العربي القديم في ضوء ثقافة أخرى، فيحملون النص على مفاهيم غريبة عن الثقافة العربية، وإليك نموذجا يحتبي به بعض المعاصرين في الطعن في حكم الخلافة الإسلامية، فيزعمون أن الخليفة في الإسلام ادعى حقا مقدسا في السلطة يشبه الحق الإلهي المقدس الذي ادعاه رجال الكنيسة في أوربا في القرون الوسطى التي عرفت بعصور الظلام، والحجة في ذلك بعض مدائح الشعراء في الخلفاء- والشعر مطية الكذب والرياء - وقد كانوا يرتزقون منه، وبعض التراكيب اللغوية التي وردت في خطب الخلفاء وأقوال العلماء، وما جاء في بعض المرويات، ومن ذلك: " السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم "، و " خليفة الله "[1]، وغير ذلك من التراكيب التي حملها بعض ضعاف العلم على وجهها اللفظي دون بحث معانيها العميقة والعلاقة التي تربط بين أجزاء التركيب، وموقع المعنى فيه من الحقيقة والمجاز، وعرف العربية في التعبير عن المعاني الخاصة، وغير ذلك من المسائل التي تتعلق بدلالة اللفظ على المعنى، وعبقرية العربية في التعبير عنه. والمعنى الذي ذهب إليه المحدثون بوجود علاقة مقدسة أو سلطان ديني ادعاه الخلفاء فاسد اعتقادا؛ لأن العقيدة الإسلامية لم تمنح حقا إلهيا لأحد من دون الأنبياء، وهذه الحق لم يك لشخصهم بل لما يحملونه من رسالة أو دعوة، وما ينزل عليهم من وحي، ولم يثبت من تاريخ الإسلام مثل هذه الحقوق المفتراه وما أثيرت هذه القضايا إلا من ضعاف الفهم والإيمان حديثا، وليس من العقل أن يصدق مسلم رشيد أن الحاكم نائب عن الله تعالى، ومفوض بالحكم منه، فهذه الأفكار بقية رواسب الجاهلية وغير المسلمين الذين قدسوا الحكام بدعوى وجود صلة نسب بينهم وبين السماء، فحملوهم صفات مقدسة كملوك الفرس والفراعين، وبعض ملوك العرب في الجاهلية الذين تسموا

---

(١) وردت بعض هذه التفسيرات لهذه التراكيب على نحو غير صحيح في كتابات المستشار سعيد العشماوي في كتابه "الإسلام السياسي"، والإسلام وفلسفة الحكم للدكتور محمد عمارة، وأحسب أن الأخير تراجع عن هذه الأفكار. وتردد مثل ذلك في الخطاب العلماني الذي تورط في بعض القضايا بغية اقتسام كعكة السلطة والاستحواذ عليها من العسكريين والأسر الحاكمة.

بأسماء فيها إعلاء لطبيعة النسب نحو " المنذر بن ماء السماء " ولم يك هذا الاعتقاد شائعا في العرب الجاهليين. وتفسير هؤلاء لمثل هذه التراكيب اللغوية وهم كبير، ومردود عليهم، وما عليهم إلا أن يراجعوا آراء أهل اللغة في مثل هذه التراكيب، قال الحريري: " فأما قوله عليه السلام " والسلطان ظل اللـه في أرضه "، فالمراد به ستره السابغ على عباده، المنسدل على بلاده، ومن سنة العرب أن تضيف كل عظيم إليه جلت قدرته، كقولهم للكعبة " بيت اللـه "، وللحاج: " وفد اللـه " [1].

ويقول الشهاب الخفاجي: " وأما حديث السلطان ظل اللـه في أرضه " فقد قيل في تفسيره: إن الظل هو النعمة، وقيل الحفظ، وقيل: الهيبة، وقيل: استعارة، ووجه التشبيه أن ظل الشيء يحكيه ويناسبه في الجملة، والسلطان كذلك، فإنه ينتظم بوجوده مملكته كما ينتظم بالحق - جل عن التشبيه والنظير- سلسلة الممكنات؛ ولأن الظل يتنعم به ويلتجأ إليه عند اضطرام شرر الشر، ويناسبه قوله في الحديث "... ويأوي إليه كل مظلوم " [2].

وقال ابن الأثير: " السلطان ظل اللـه في الأرض " : أي يدفع الأذى عن الناس[3]. وآراء السلف ليس فيها شيء مما يمكروا به هؤلاء المتفيهقون الذين يدعون التنوير، وهم أهل تضليل وتزوير ويخوضون في ظلمات الجهل! والأبيات التي احتجوا بها في تأليه الحاكم في دولة الخلافة ليست بحجة في أحكام الشرع، أو أحكام التاريخ؛ لأنها ليست قطعية الصدق، وليس الشعراء بحجة في الحكم، قال تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون* ألم تر أنهم في كل واد يهيمون*وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا اللـه كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[الشعراء:٢٢٤ – ٢٢٧]. وآراء العلماء فيهم معلومة، خبرتنا بها كتب التفسير والحديث والفقه والأدب، وتراجم الشعراء تغني عن القول فيهم[4].

---

(١) درة الغواص للقاسم بن على بن محمد الحريري. بشرح الشهاب الخفاجي.تحقيق عبد الحفيظ على القرني، دار الجيل، مكتبة التراث الإسلامي ط١٤١٧/١هـ-١٩٩٦م . ص٣٦٦.

(٢) ارجع إلى: درة الغواص ص٣٦٧ "الحاشية".

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير جـ٥٦/٣.

(٤) ارجع الي: كتابنا " الشعر في عصر النبوة " طبعة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، وقد ناقشت فيه موقف الإسلام من الشعر ص ٧ : ٢٤.

فالشعر لا يخلو من صنعة أو خيال أو مبالغة، ولا تنسى رأى بعض النقاد الذين رأوا أن أجمل الشعر أكذبه، وشعر المدائح يقال للتكسب أو لحاجة، وبعض الشعراء نسبوا للبلاط الذي امتدحوه، فالأخطل مثلا " شاعر أمير المؤمنين " [عبد الملك بن مروان]، وكان نصرانيا، قال مادحا يزيد بن معاوية لفضل عليه؛ ولما يتول الخلافة بعد:

فلولا يزيد بن الإمام أصابني قوارع يجنيها على لساني

و" الإمام " يعني به معاوية ﷺ، ومعناه رأس الناس وسيدهم، وليس في دلالته المعنى الذي تبناه الشيعة لمفهوم الإمامة التي ترتبط بآل البيت، فالإمام يطلق عند العرب على كل رئيس أو أمير، وهو في اللغة عام للمؤمن والكافر، وجاء بهذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى في رؤساء الكفار: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾[القصص:٤١].

فالإمام يعني المقدم على الناس سواء أكان برا أو فاجرا، وجاء في دعاء المؤمنين: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾[الفرقان:٧٤].

أي اجعلنا على رءوس الناس في التقوى أو اجعلنا مقدمين في المتقين، واللفظ يخصص بالاستخدام أو السياق، فالإمام عند الأصوليين إمام الصلاة، وإمام الناس أي الخليفة، والإمامة العظمى يراد بها الخلافة والإمامة الصغرى إمامة الصلاة، والإمامة عند الشيعة لا تكون إلا في آل البيت وأئمة المذهب، وقد اختارت الشيعة لقب إمام لرؤسائهم وأئمتهم، ومفهومه عندهم يختلف عن مفهوم الإمام عند أهل السنة، ويقصد به: إمام الصلاة أو إمام المسلمين " الخليفة ".

ولفظ القرآن الكريم يعالج معجميا في ضوء المعنى اللغوي العام الذي عاصر نزول نصه، ولا يعالج في ضوء المفاهيم التي لحقت بالمعنى اللغوي بعد زمن النزول.

وبعض المحدثين شككوا في الأحاديث التي ورد فيها لفظ الإمام مدعين أنها من وضع الشيعة أو أن الراوي استبدلها من مرادفات لها نحو الحاكم، أو الأمير، وهؤلاء واهمون؛ لأن لفظ الإمام سبق ظهور الفرق، فهو من الألفاظ الأصيلة في لغة العرب، وسبق نزول القرآن، وليس من وضع الشيعة، فالشيعة اختصوه بدلالة اصطلاحية فقط تتعلق باعتقادهم في الإمامة، وأهل السنة استخدموه أيضا، والأحاديث التي وردت بها ألفاظ: الإمام، الحاكم،

الخليفة، السلطان، الملك، الأمير، الرئيس، رواها أصحاب الكتب الستة الصحاح، وبعضها متفق عليه[١].

ولفظ الإمام الذي يقصد به الخليفة لا يحمل في مضمونه حقا مقدسا للحاكم أو تفويض من الله أو أنه معصوم أو موكل بحق إلهي مقدس، فهذه الطروحات صدى للثقافات الغربية العلمانية التي ترى أن الحكم الديني يدعي حقوقا مقدسة يمارس بها حقوقا مكتسبة، فتعاقب مخالفيها بالحرمان من صكوك الغفران، وتحاكمهم بتهمة التمرد عليها والتجديف، ويرون أن طاعتهم على الناس مطلقة واجبة؛ لأنهم يحكمون نيابة عن الله، أو خلفاء له في الأرض والخلافة عندهم تعني الوكالة، فالله تعالى فوض إليهم حكم الناس وأعطاهم في ذلك حقا مقدسا؛ فحكمهم حكما إلهيا مقدسا، وكان للصراع الذي قام بين الكنيسة والعلمانيين صدى بين مثقفي المسلمين، وقد أثار هذا جدلا بينهم حول الخليفة في الإسلام، وكان سببا مباشرا في سقوط الخلافة الإسلامية المتمثلة في السلطان العثماني (١٩٢٤م) وهي الدولة التي عاصرت نكبة الحضارة الإسلامية. وزعم بعض المحدثين أن عبارة " خليفة الله " التي وردت في مدائح الشعراء فيها شيء من تقديس الحاكم، وليست هذه التراكيب إلا من باب المجاز أو من باب إضافة كل شيء ذي قيمة إلى شيء أعظم منه في المنزلة، فأضيف لفظ الخليفة وهو من الناس بمكان إلى الله تعالى جل قدره، وهذا من سنن العرب في التعبير عن المعاني الخاصة، أو من باب المبالغة في المعنى، قال الأخطل مادحا رغبة في العطية[٢]:

إلى امرئ لا تعدينا نوافله	**أظفره الله فليهنا له الظفر**
الخائض الغمر والميمون طائره	**خليفة الله يستسقي به المطر**

---

(١) ارجع في ذلك إلى "معجم ألفاظ الحديث"، والأحاديث التي جاءت فيها في الكتب الستة، وقد تناولت ذلك في كتابي تاريخ الحكم في الإسلام، مؤسسة المختار، ط١/٢٠٠٢، ١٤٢٢هـ ص١٦٠ - ١٦٥. وارجع إلى صحيح البخاري (كتاب الأحكام) وصحيح مسلم كتاب الإمارة، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجة، وسنن أبي داود، وفيها رد على ما كتبه الدكتور محمد عمارة في كتابه "الإسلام وفلسفة الحكم". دار الشروق ص٣٣ - ٣٥. وسعيد العشماوي في كتابه : "الإسلام السياسي. دار ابن سينا، وغيرهما ممن يفسرون التاريخ واللغة في ضوء الثقافة الغربية، وقد فسر الشيخ على عبدالرازق ﴿**لست عليهم بمصيطر**﴾[الغاشية:٢٢] فجعلها بمعنى السيطرة السياسية، فادعى قطع العلاقة بين الدين وسياسة أمور الناس وحكمهم.

(٢) شعر الأخطل، رواية محمد بن العباس اليزيدي، طبعة الأب أنطون صالحاني ص٢٩٣.

و" خليفة الـلـه " لا تعني الوكالة المقدسة، ومثلها: " سلطان الـلـه " التي وردت في خطبة زياد بن أبيه: " إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذاده، نسوسكم بسلطان الـلـه الذي أعطانا، ونزود عنكم بفـيء الـلــه الـذي خولنا " فسلطان الـلـه تعني أن كل سلطة من الـلـه تعالى أعطاها هبة لبعض عباده، فيحكمون الناس بحقها، وهو العمل فيها بطاعة الـلـه، ولا طاعة لمن لم يطع الـلـه تعالى، وليس في ذلك خلاف بين العلماء.

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ "الملك" يراد به السلطة أو الحكم، فـالعرب كانـت تعـبر عـن الحكـم أو السلطة بلفظي " الملك " و" الإمارة " أو " الإمرة "، قال تعالى: ﴿وقتل داود جالوت وآتـاه الـلــه الملـك والحكمة وعلمه مما يشاء ...﴾[البقرة:٢٥١]. فالملك في الآية لا يعني وراثة العرش، فداود عليه السـلام لم يكن ابنا لجالوت، والآية تشير إلى حكمة الـلـه البالغـة في تنـاوب الحكـام في السـلطة؛ لـئلا يسـتمر الظلـم في الناس، فجعل السلطان بينهم دولا ﴿ولولا دفع الـلـه الناس بعضـهم بـبعض لفسـدت الأرض ولكـن الـلـه ذو فضل على العالمين﴾[البقـرة:٢٥١] فـالله تعـالى يحفـظ عبـاده في الأرض بخشـية بعضـهم بعضـا، فيكفوا عن الظلم، أو أن بعضهم يغيرون ما يفسده الآخرون.

ومثل ذلك " روح الـلـه " التى يفسرها النصارى على أنهـا تعنـى ذات الـلــه فى المسـيح، وأنهـا دليـل فى القرآن على أنه الـلـه تعالى، وقد وقعت الإضافة للدلالـة عـلى أن الـروح مـن أمـر الـلــه تعـالى فنسـبت إليـه تعظيما لها، قال تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾[الحجر:٢٩] يريد آدم عليـه السـلام وقـال: ﴿فأرسـلنا إليها روحنا﴾[مريم:١٧] يريد الملاك، إن الآيات: ﴿فنفخنـا فيـه مـن روحنـا﴾[التحـريم:١٢]﴿ وكلمتـه ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [النساء:١٧١] وغيرها، ليست بـدليل عـلى أن روح عيسى عليه السلام تعنـى الـلــه تعالى فإضافة الروح إلى رب العزة عامة فى كل روح للتعظيم، وأنها سر من أسراره سبحانه وتعالى.

وقد يكون غموض المعنى سببا في تطور الدلالة واختلافها في الألفاظ التي يتواصل بها المجتمع، وقد يقع اختلاف الدلالة نتيجة الخطأ في الاستعمال أو غموض الدلالة، ولكن السياسية لا تخطئ في مفرداتها بل تعمـد إلى إزاحة الألفاظ عن دلالتهـا الأصـلية، فتمنحهـا مفـاهيم جديـدة ترضـيها، ومثـال ذلـك مصـطلح " الإسـلام السياسي " ويعني به التيار الإسلامي الذي يدعو إلى إسلام مؤسسات الدولة في الظاهر والباطن دون فصل بين الدين والدولة،

وهذا التيار يعرف عند بعض الباحثين باليقظة الإسلامية أو الإحياء الإسلامي. والإسلام في الاعتقاد لا يتجزأ، فالمسلم مسلم في كل أمره، قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾[الأنعام:١٦٢] والحقبة الأولى من تاريخ الإسلام لا تجزئ الإسلام، ولم يعرف الإسلام تجزيئا إلا في ظل الحضارة الغربية التي تفصل بين الدين والحياة، ولهذه الثقافة صدى بين المثقفين الشرقيين. ومصطلح " الإسلام السياسي " وهم وقع فيه المعاصرون فليس هناك إسلام سياسي، وإسلام صناعي، وإسلام زراعي، بل الإسلام إسلام فشأن المسلم كله لله تعالى، فالإسلام دين شمولي.

ويطلق بعض المفكرين على العقدية الإسلامية (نسبة إلى العقيدة) الأيديولوجيا الإسلامية، ويقصد بها أيضا ما يعرف بالإسلام السياسي، والأيديولوجيا: ظاهرة فكرة تتعلق بالاعتقاد السياسي الجماعي، وتستخدم في حقل السياسة، فاتسع استخدامها، فأطلقت على الاتجاه الإسلامي الذي يدعو إلى دولة إسلامية أو أسلمة مؤسسات الدولة ظاهرا وباطنا، وهذا المصطلح قد يتسق مع الفكر الغربي، ولكن المسلم ليس له اعتقاد سياسي ديني، فالإسلام لم يضع نمطا ثابتا لشكل الدولة، وأرجأ هذا النمط إلى اعتبار مصالح الدين والدنيا، فالمسلمون ليسوا مقيدين بنظام دولة ثابت، فالدولة ضمن مصالح الدنيا التي يعالجها المسلمون في إطار شرعي يحقق المصلحة العامة على ألا تخالف أصلا من أصول الدين، وفقهاء الأمة عالجوا موضوع السلطة اجتهادا لا نصا، فلا اجتهاد مع نص، ومن ثم لهم فيها رؤى متعددة، يربط بينها مراعاة مصالح الدين والدنيا[١].

والاضطراب الثقافي والسياسي والفكري الذي يمتحن فيه العالم الإسلامي والعربي نتيجة حتمية للصراع بين ثقافتين بينهما خلافات جوهرية في قضية العقيدة، فالعقيدة الإسلامية تمثل جوهر فكر المسلمين، وتجمعت حولها روافد الثقافة العربية التي نشأت لدواعي دينية وغايتها الدين، والثقافة العربية نفسها شارك في تشييدها مسلمون من مشارب وألوان وأعراق مختلفة، وجمعهم فيها الدين واللغة العربية، فالدين المحور الرئيس الذي تدور حوله الثقافة الإسلامية العربية بيد أن الثقافة الأوربية الحديثة تخالفها في هذا الأصل؛ لأنها قامت على أسس بشرية ومادية متجردة من النوازع الدينية، فالسلطة الدينية في الفترة التي

(١) ارجع إلى: الأيديولوجية، نحو نظرة تكاملية، محمد سبيلا، المركز الثقافي العربي، لبنان.

سبقت عصر النهضة كانت ضد التحديث والحضارة، فظهر تيار معارض، وأعلن ثورته على كل ما يتعلق بالسلطة التي ادعتها الكنيسة، وحقق هذا التيار نجاحا سريعا بفضل ما كان يؤمن به من أسس علمية منهجية استطاع بها نقل أوربا من عصر الظلام إلى عصر الطاقة، ولكننا لا نستطيع أن نسميه عصر النور؛ لأنه مازال مظلما في بعض جوانبه الأخلاقية وبعض مواقفه السياسية، فالمفكرون وضعوا نسقا فكريا يقوم على تجاربهم الشخصية ومشاربهم الثقافية، وليس لهم مرجعية ثابتة، يحتكمون إليها جميعا، ومن ثم تعددت النظريات، واختلفت المذاهب، وظهرت أفكار ثم خبت، وبعضها أخفق؛ لأنه لم يقدم نسقا عادلا يتمتع بالاستمرار والعموم والصلاحية لكل فرد.

والعقيدة الإسلامية تمثل نسقا عاما مرجعيا يحتكم إليه كل المسلمين، وهي أهم وشيجة اجتمع عليها المسلمون، وجعلت منهم كيانا متقاربا، بيد أنها تعيش مأزقا حرجا، فالمسلمون قاطبة في العالم الحديث لم يقدموا نسقا واحدا يتعادلون به مع الثقافة الأوربية، ويحدثون به مزاوجة بين ثقافتين مختلفتين، ولكنهم يعيشون منفصمين عن جوهر شخصيتهم العقدية، فهم ينتسبون إلى الإسلام، ولكنهم لا يتمتعون بشخصية إسلامية تميزهم عن الآخرين، ويعجزون عن إقامة توازن بين ثقافتهم التراثية وبينهم مشاربهم المعاصرة، فمازالت هنالك فجوة، والمسلمون لا يستطيعون سدها ليصلوا بين حضارتين، ذلك أنهم منقسمون على أنفسهم بين اتجاهين الأول تراثي قديم يتوجس من معطيات الحضارة الغربية، ولا يرى منها إلا سلبياتها، واتجاه يوالي الحضارة الغربية فكريا وسلوكيا، ويسخر من معطيات ثقافته التراثية، وهذا التيار استطاع الاقتراب من السلطة، ويوجد اتجاه ثالث لا يراه رجال السلطة ولا يحتفون به حفاوتهم بأرباب المهن الترفيهية، وأهل هذا الاتجاه المشتغلون بالعلوم التجريبية، وأمثال هؤلاء هم رواد الحضارة الغربية وحملة مشاعل التقدم فيها، فالسلطة تتجاهلهم، ولا تلحظهم برعايتها، وليس لهم خطاب في الساحة الثقافية، ولا يعطيهم أصحاب الخطاب النظري مساحة من الكلام، فالسلطة تعتمد على الكلاميين؛ لأنهم يقودون حملتها الدعائية، ويصنعون خطابها اللفظي، ومازال الخطاب العلمي غائبا، ومهمشا إلى جوار الخطابات الكلامية التي صنعت خيالا سياسيا يسع كل أنظمة العالم، ومازلنا في شغل بالخطاب الجدلي عن إقامة مؤسسة علمية تحتكم إلى العقل والعلم التجريبي، وخطاب السلطة أجوف هش لا يملك نسقا علميا، لإقامة دولة متقدمة حضاريا، وأقام بديلا له خطابات كلامية متناحرة،

ودعمها سياسيا، فشغلتنا، ودمرت طاقاتنا وحرمتنا من أن نكون بشرا صالحين، فالحروب الكلامية في العالم الإسلامي صرفته عن معارك الإنتاج، والعالم العربي يعيش أسوأ مراحل تاريخه، ومازال يبحث قضية الهوية، وانشغل عن حاضره بقضايا تجديد الخطاب الجدلي ليفتح له آفاق التقدم الكلامي ! والأزمة السياسية تكمن فى الذين وصلوا إلى السلطة بقوة السلاح، ودورهم السرى وأعمال القرصنة لحساب الأحزاب التى تهيمن على السلطة، فاستطاعوا من خلال رصيدهم الدموى الوصول إليها، وليس لديهم رصيد معرفى أو مرجعية يحتكمون إليها غير الأخذ بالقوة غير مبالين بالكفاءات وأصحاب الخبرة الثقافية، وأعوان هؤلاء من القراصنة والجلابيب لا من أصحاب الرأى والعلم.

وقد تدنى مستوى الخطاب العربى تأثرا باختفاء الطبقة المثقفة أو تراجعها عن القيادة فتسلم مقادة الثقافة أفراد غير أكفاء، وسيطر على السلطة رجال غير أكفاء أمام تراجع المثقفين عن المشاركة السياسية وعزلتهم فتردى الوضع الثقافى والسياسى، فرجال السلطة غالبا عسكريون ومهنيون من غير المثقفين، وانعكس ذلك على علاقتهم بالثقافة فلا يعتبطون كثيرا بالمثقفين، فليسوا بموضع رعايتهم ودعمهم، واستشرى وباء الجهل بين الإداريين وصانعى القرار والهواة، وتردى الوضع العلمى فى كثير من أصقاع العروبة، فظهر خطاب سياسى هزيل لا يتمتع بعناصر لغوية مؤثرة ولا يتضمن فكرا واعيا ولا يعبر عن الواقع.

** ** ** **

الإعلام السياسي

هو الإعلام الذي يتخذ السياسة موضوعا له، ويزاوج في وظيفته بين فرعين من العلوم، هما: علم الإعلام، وعلم السياسة، فيستخدم الإعلام وسيلة **Medium**، ويستخدم السياسة مضمونا **Content**، فالأدوات الإعلامية توظف في خدمة موضوع السياسة، والسياسة في هذا المجال لها مفهوم واسع يتعلق بجوانب الحكم والإدارة والاقتصاد والمجتمع والثقافة والشئون العسكرية ... إلخ. وتغلفها جميعا بطابعها السياسي.

وتعتمد السلطة على وسائل الإعلام في الدعاية السياسية والهيمنة والتواصل، فالإعلام لسان السلطة مع الشعب، ويعد أقوى وسيلة تأثير جماهيرية، وقد كان الشعراء والخطباء والقصاص لسان السلطة قبل نشأة وسائل الإعلام الحديثة، فنشأت أولا الصحف ثم الإذاعة المسموعة ثم التلفاز، وظهر وسائل أخرى، بعضها تسيطر عليه السلطة وبعضها في سلطة الأفراد[1].

وللإعلام قوتان: قوة ذاتية، وقوة يعكسها، فأما القوة الذاتية: فتتكون من مجموعة قوى: قوة القائم بالاتصال، وقوة الوسائل المستخدمة، وقوة المضمون، وقوة تكنولوجيا الإعلام، والمعلومات التي يعرفها المرسل عن المستقبل، وفاعلية الإعلام وأثره، والزمن والتوقيت الذي تبث فيه الرسالة أو زمن إرسال الخطاب، ونوع القناة المستخدمة في الإرسال، والعلاقة بين المرسل والمتلقي، والمسافة بينهما، ونوع جمهور المتلقين، ورد الفعل ومدى الاستجابة من التأثير، وقوة الإرسال. وأما القوة الثانية، فالتي يعكسها الإعلام، فالإعلام رد فعل للأوضاع القائمة، أو استجابة لمطالب الواقع، فوسائل الإعلام تتخذ موضوعا قائما أثارها أو شغلها، لكنها لا تفترض موضوعا ولا تقيم وهما، ولكنه قد يقع مثل ذلك لدواع سياسية، فالإعلام مرآة تعكس ما هو قائم يقينا لا فرضا، ويرتبط ارتباطا شديدا بالأحداث السياسية والمجتمع الذي تقع فيه. ويستمد الإعلام قوته من دعم السلطة له أولا، ومن قيمة الموضوعات التي يطرحها، ومن علاقته بالجماهير، فالإعلام يستطيع أن يجذب الجماهير بموضوعاته الساخنة ومصداقيته فيها، وحيادته، وموضوعيته في العرض، وإن فقد واحدة منهن ضعف التأثير، وفقد جماهيريته.

---

(١) لغة الخطاب السياسي, الدكتور محمود عكاشة ص ٨ , ٩ .

فبعض الجماهير العربية انصرف عن بعض القنوات الإعلامية الموجهة والمغرضة، واستطاعت قنوات جديدة ليس لها تاريخ إعلامي أن تجذب هذه الجماهير وتحظى بشعبيتها، فالإعلام يكتسب قوته أولا من الموضوع ثم من شخصيته أو قوته الذاتية والقوة الذاتية في الإعلام نسبية في المجال الدولي، فالموضوعات السياسية الدولية قد تكون حليفة قناة إعلامية استطاعت أن تلم بالموضوع وتنفرد به، وتسبق إليه، وتقف من وراء هذه المؤسسات الإعلامية الكبرى مؤسسات سياسية تملي عليها مادتها، وتدعمها ماديا, ولرجال الإعلام دورهم في نجاح التواصل مع الجماهير، وقدرتهم علي التأثير فيهم وإقناعهم، وقد نجحت كثير من القنوات الفضائية في استقطاب الإعلاميين المهرة ومنحتهم مزيدا من الحرية في الخطاب بيد أنهم لا يخرجون عن عباءتها وتحقيق مصالحها، وهي سلطة أخرى وقعوا تحت نفوذها !!

وتحرص دول العالم على تدعيم قنواتها الإعلامية؛ لتكون سلاحا توجهه صوب خصومها، فالسلطة غالبا من وراء الإعلام، وتربطه بها علاقة حميمة، فقد تكون السلطة من وراء إنشاء مؤسسة إعلامية، فتصبح تبعا لها وجندا من جنودها، وقامت بعض الانقلابات العسكرية بالهيمنة على وسائل الإعلام، فجعلتها تحت سلطتها، وطاردت المؤسسات الإعلامية التي تمردت عليها، حرصا منها على الهيمنة على الشعب وتوجيهه، وأن تغزوه فكريا، فلا يسمع خطابا غير خطابها، فينصاع لها طواعية أو وهما أو قهرا، أو لأنه الخطاب الوحيد الذي يتلقاه.

ولكن هذا لم يعد ممكنا في ظل التقنية المتقدمة والإمكانات المطروحة للمتلقي فقد أصبحت لديه قدرة عالية على استقبال رسائل أخرى وخطابات من قنوات لم تستطع السلطة حجبها عنه أو السيطرة عليها، فلم تجد بدا من أن تسير في ركاب الإعلام، وأن تستجيب لبعض حقوق المعارضة التي ترسل خطاباتها عبر قنوات خارجية أو خاصة لا تهيمن عليها الدولة.

وقد كان الإعلام السلطي منفردا بالاتصال ومتسلطا على الجماهير، فلا يعطي مساحة لخطاب الآخر، ولا يسمح للجمهور أن يتلقى خطاب الآخر، أو أن يرى العالم، وقد كانت سياسته التعتيم والتوجيه، وقد كان لهذا النوع من الإعلام سلبيات عديدة، لكن خطاب الآخر اليوم صار متحررا من قيود السلطة، وأصبحت لديه القدرة على تحدي خطاب

السلطة، وقد كان الآخر يهرب من سلطان السلطة فيهاجر، ليلقي خطابه من الخارج؛ ولكنه الآن يستطيع أن يبث خطابه جهارا وإسرارا في ضوء تقنيات الاتصال الحديثة، التي ساعدته في التواصل مع جماهيره، وأن يرسل خطابه داخليا وخارجيا.

وقد تستخدم وسائل الإعلام ضد المعارضة الدولية، فبعض الدول تستخدم الدعاية الإعلامية ضد دول أخرى لا تحالفها، فتبث رسالة مصنوعة تتناول الأوضاع الداخلية في تلك الدول، مثل: الأقليات، الحرية وحقوق الإنسان، نزاهة الانتخابات، وقد تصعد حملتها الإعلامية، فتتضمن رسائلها معلومات تشير إلى خطر هذه الدول على الأمن العالمي، وتستخدم في وصفها تراكيب: محور الشر، حليف الشيطان، عدو السلام، أسلحة دمار شامل.

وقد استطاعت المعارضة أو الأحزاب إنشاء قنوات إعلامية خاصة بها لتعبر عن فكرها أو هويتها السياسية، فأنشأت الصحف والمجلات، وقنوات تليفزيونية وفضائيات، واستطاعت من خلالها أن تميط اللثام عن فكرها، وأن تصحح وضعها في الدولة، وأن تعيد رسم صورتها في أذهان الجماهير، وأن تستبدل بها تلك الصورة التي قدمتها السلطة للمعارضة التي تصفهم دائما بالمتآمرين على الدولة، والخارجين على القانون والعملاء والخونة، والخوارج، والمارقين وغير ذلك من المفردات التي تضع من فكرهم وولائهم للدولة.

وبعض الدول التي تواجه معارضة دول أخرى تعد رسائل دفاعية موجهة إلى مضمون الرسائل التي تندد بها، وكلتا الرسالتين تحاول هدم الأخرى، ودحض أدلتها، وتستعين في ذلك بوسائل لغوية وغير لغوية، وترفق بهذه الرسائل صورا وسمعيات، ومرئيات وتعليقات وآراء للتأثير والإقناع.

وتهيمن على وسائل الإعلام فى الوطن العربى تيارات سياسية موجهة ومتأثرة بثقافات وافدة، فقدمت خطابا موجها أثار جدلا وخللا فى وحدة الأمة وهويتها، وتمارس وسائل الإعلام ضغطا سلطيا على الجماهير للتغيير هويتهم الشرقية المتمثلة فى الدين والعروبة والمظاهر الاجتماعية مدعية أنها تقود حافلة التنوير والتغيير ولا يتجاوز هذا التنوير الزى والسلوك وليس من التنوير العلمى فى شئ، فوسائل الإعلام لا تقدم ثقافة علمية بل أعمال فنية هابطة سطحت العقول وهمشت الوعى ورسخت السفة والغث، فجنحت بعقول الشباب نحو السفاهة دون المشاركة فى السياسة والمسئولية الأسرية، فظهر جيل لا يعرف

المواطنة أو الانتماء، فانحرف الشباب عن الجادة إلى التطرف الخلقى والمغالاة فى ممارسة العربدة .

وتراجعت دول عربية عن إمامة قافلة الإعلام أمام دول حديثة استطاعت أن تقدم إعلاما قيما حقق شعبية واسعة واستقطبت جمهور قنوات لها رصيد كبير من الإعلام الهزيل غير المفيد، ومازالت القنوات التى تتبع السلطة على دينها القديم تمدح سادن المعبد وحراسه غير معتبرة بردود أفعال الجماهير تجاه مدائحها فى كبير الكهنة ورجاله فقد انصرفت عن خطابها الذى لا يتضمن قيمة ترغب فيها وتراه كذبا، ويعبر عن وثنية ذهبت بظهور دين جديد .

** ** ** **

الإعلام الدولي

وهو الإعلام الذي يوجه خارج القطر الذي يصدره، ويوجه إلى العالم الخارجي إضافة إلى جمهوره، ويحمل في خصائصه طابعا دوليا، ويتناول قضايا دولية تهم دول العالم الخارجي، ولم يكن الهدف منه في بدء الأمر توحيد العالم أو السلام العالمي بل الصراع الدولي الذي لعب دورا رئيسا في تغذيته، فمن دواعي ظهوره الصراع بين أقطاب السياسية الدولية والنزاعات الدولية، واختلاف الفكر السياسي والمصالح بين المعسكرات الدولية، ولكنه شهد تطورا في المرحلة الأخيرة في بعض جوانبه، فأصبح لبعض القنوات الدولية أهداف إنسانية صالحة بعيدة عن الصراع، وهذه القنوات تدعمها المؤسسات الدولية والمنظمات غير الحكومية التي تتبنى فكرا محايدا.

وهذا النوع من الإعلام قد يحمل في طابعه شخصية عالمية، وقد يحمل شخصية قائلة، ويعبر عنها فقط، ليقنع بها الآخرين، ودول العالم المعاصر تنشئ قنوات دولية لأغراض سياسية ذرائعية، وقد تنشئ قنوات دولية لأغراض علمية، وتنشأ هذه القنوات تحت مظلة مؤسسات دولية رسمية، فأما الأولى وهي التي تنشأ لأهداف اقتصادية وسياسية، فتقيمها مراكز القوى في العالم من دول رأس المال، والدول التي تقوم على مذاهب فكرية لتستقطب إليها حلفاء جدد وتنشر أفكارها خارج حدودها.

وهذا النوع من الإعلام لا يتمتع بعدالة توزيع الأنباء في العالم، فالدول الكبرى استطاعت أن تتحكم في وسائل الإعلام الدولي من خلال هيمنتها على الأقمار الصناعية، ونفوذها في الفضاء الخارجي الذي تعده وفقا لها ولا تخترقه الدول الفقيرة، إلا بتصريح منها؛ لأنها لا تتمتع بأنظمة ديمقراطية.

وهي ليست ديمقراطية في إحكام سيطرتها على العالم، وابتزاز ثرواته، والهيمنة عليه، وممارسة كافة الضغوط على الدول الفقيرة لإرغامها على طاعتها، وهي في الوقت نفسه تتهم الدول الفقيرة بأنها تعسفية، ولا تحظى بالحرية التي يرفل فيها مواطنوها، وحقيقة الأمر أنه ليس حرا بل مغيبا، فالدول الكبرى تعطي مواطنيها شعورا عبر وسائل الإعلام أنهم أعلى صوتا في العالم، ومن دونهم من الأمم تصورهم بالغوغاء والمخربين والمتخلفين، وتحذر مواطنيها من الاستمتاع إليهم أو مخالطتهم، فالعالم المسمى ثالثا لا يرقى في الإعلام الغربي إلى مستوى الآدمية، والمواطن الغربي لا يشعر بوجوده غالبا، ويراه في الصورة التي رسمتها له

وسائل الإعلام، وليس لديه الوقت في التفكير فيه؛ لأنه في شغل دائم، ولا يستجيب لثرثرة الفقراء ومشاحناتهم وجدالهم وكثرة اختلافهم، فهم بمنزلة الرعاء المتخلفين، يعيشون عصور الظلام ويأبون أن يمسكوا شمعة من الشموع التي تقدمها لهم الدول الغنية فكلما قدمت لهم شمعة أطفئوها، وقالوا : بدعة وضلالة، فالعربي عند الغرب مثلا قرين الجمل والصحراء والسيف وحروب الجاهلية، ويشبه الهنود الحمرأو التتار، وقد أكمل جوانب هذه الصور، ووضع رطوشها الأخيرة بعض النماذج العربية الهزيلة وغير الصالحة.

وتنفق الدول الاستعمارية أموالا طائلة على وسائل الإعلام وتدعمها، وتثبت قنواتها في بقاع العالم، وهي قنوات موجهة تنشئ المتلقي تنشئة سياسية توهمه بتأليه هذه الدول، وأنها النموذج المثالي وحلم كل يائس من السلطة الوطنية، فينموا اتجاه تابع لثقافة الغرب ويواليه موالاة العبد مولاه، والسلطة نفسها تساعد في نمو هذا الاتجاه بما تيسره لوسائل الإعلام الخارجية وما تمتدحها به، وتردده خلفها، فهي الأخرى تعلن لشعبها أنها مطواعة لهذه الدول، وتستمد سلطتها من هذه الأنظمة العالمية ولا تعتمد في شرعيتها على الشعب، وكأنها منصبة عليه من قبل هذه الدول، فتصبح عبئا عليه تخطو خلاف خطواته، وتعمل ضد مصالحه، وهذه صورة عامة لأشكال السلطة في الشرق فهي تعطيك انطباعا أنها تسوس سياسة تخالف رغبة شعوبها، لأنها لا تسلك مسيرتها في الحكم وهي لا تنظر الشعب بل تنظر إلى القوى المهيمنة، فتطأ بأقدامها شعبها أو تصدمه وهي لا تدري، ففقدت الثقة بين السلطة والشعب، وأصبحت عبئا ثقيلا عليه؛ لأنها لا تمثله ولا تحكم بتفويض منه، وصارت السلطة في الخيال الشعبي عقابا لخطاياه في الدنيا يدعو الله ليل نهار: (ربنا اكشف عنا العذاب)، وما هو بمزحزح عنهم حتى يؤمنوا.

وأصبحت لدى الشعوب الشرق أوسطية ثقافة معتمة عن السلطة، فهي رمز الظلم، وليست مملكة الله فيها وليست منه في شيء، وأن السلطان في الأرض رمز الدنيا، وما تكونوا يول عليكم، وأن ظلم الحاكم عذاب مسلط من الله على عصاته، وعليهم أن يطهروا أنفسهم، وينتظروا مخلصا.

وهذه الثقافة لها أبعاد دينية قديمة تمتد إلى موقف اليهود من السلطة، وضربت بجذورها في بداية ظهور المسيحية والمحنة التي عاشتها في ظل الإمبراطورية الرومانية، ووقع صداها عند بعض المسلمين الذين تسربت إليهم إسرائيليات، وأفكار كنسية، ويرددها دعاة المسلمين في

خطبهم وكتبهم، وعامة الناس تبع لهم، والأمر يحتاج إلى مراجعة وتوعية، فالإسلام بلغ غايته في العالم بفضل السلطان النصير، وما فيه المسلمون اليوم يعوذه سلطان قوى يعيد ترتيب هذه الأنظمة المتناحرة، وهذا كله يحتاج خطابا واعيا ومتكافئا وهادئا وإقناعيا.

ومازال الإعلام العربى عاجزا عن خطاب العالم الخارجى وإقناعه؛ لأنه إعلام يخاطب نفسه وليست لديه عناصر الإقناع العالمى؛ فليس إقناعيا لعدم توظيفه الحجج المنطقية التى تجانس الواقع والظروف والثقافة التى تخاطبها بيد أن الأمل غير مفقود فى قنوات واعية تتطلع إلى توظيف أفضل وسائل الاتصال فى مخاطبة الثقافات الأخرى بلغاتها وأسلوبها فى الخطاب.

والإعلام فى العالم العربى موجه لخدمة مصالح السلطة، وتهيمن عليه تيارات لا تمثل العقل الجمعى الشعبى، فهى تحرص على توجيه الجمهور إلى وجهتها وتمارس وسائل عديدة للتأثير فيه، كما تحرص على استقطاب الشباب والمثقفين، فالإعلام يمارس التغريب ويجنح إلى تغيير شخصية الأمة بدعوى التنوير والتوعية، ويستعين فى ذلك بأعمال فنية هزيلة والاستعانة بإعلاميين من مذاهب مشبوهة.

وقد جسد الإعلام الأمة تجسيدا مشوها لا يعبر عن شخصيتها أو واقعها، فنقل إلى العالم الخارجى صورة رديئة لنماذج رديئة لا تمثل الأمة، فليس الإعلام العربى بوسيلة إمتاعية مفيدة بل وسيلة إثارة واستفزاز وتغريب وتسفيه، ومرجع ذلك إلى سيطرة ذوى المصالح والمتهمين فى هويتهم عليه، وأن السلطة توظف ذلك لشغل الجماهير وتسطيح العقول، فانصرف الجمهور عن الإعلام السلطى غير المحايد إلى الإعلام الخاص الذى يعبر عن الآخر المغيب فى خطاب السلطة ويعبر عن بعض الأحزاب الإصلاحية، وقد استطاع بعض المصلحين إنشاء قنوات محافظة استطاعت أن تجذب جمهورا واسعا وأن تخاطب العالم، وأن تقوم بدور التوعية والتنوير فاجتمع لها جمهور كبير داخليا وخارجيا.

** ** ** **

علم اللغة الإعلامي

ظهر مصطلح حديث يتناول لغة وسائل الإعلام، والأساليب التي تتبعها في التواصل مع الجماهير، وعرف هذا النوع من الدراسة بعلم اللغة الإعلامي أو علم الإعلام اللغوي، وعرفه بعض الباحثين بأنه العلم الذي يدرس اللغة في ضوء فكرة الاتصال إضافة إلى المضمون، والعوامل الأخرى الخارجية التي تؤثر في عملية الاتصال، وتشارك فيها مثل: المرسل، والموقف الخارجي، ووسيلة الاتصال، والزمن، والمكان، وعدد المشاركين في الاتصال، ومشاربهم الثقافية، وطبيعة المجتمع الذي ينتمون إليه، وتعد اللغة أهم هذه العناصر التي تشارك في عملية الاتصال، وتتممها عناصر أخرى مثل: طريقة التوصيل، والاستيعاب، والإفهام، وتطوير المعلومات، وسرعة الإرسال، ودقة التوجيه، وقوة الإقناع.

وقد بحث الباحثون عوامل نجاح الاتصال، وأسباب فشله أيضا، وقدرة الخطاب على الإبلاغ والتأثير والإقناع، والحجاج.

وعلم اللغة الإعلامي يشكل في جوهره عملية مخططة ومنظمة، وقائمة على أسس علمية موضوعية تهدف إلى بث المعلومات ونشرها وتوضيحها، والحقائق، وتناول الأحداث، والموضوعات تناولا يكشف أبعادها ويقدم عنها معلومة وافية شافية دون لبس أو غموض في المضمون، ويقدمها أيضا على نحو مؤثر ليتفاعل معها المتلقي.

وأدرك السياسيون دور وسائل الإعلام في حياة المجتمع وأثرها المباشر فيه، فالجمهور يقضي وقتا طويلا معها، ويحرص على متابعتها، ويستطيع السياسي من خلالها الوصول إلى الجمهور في كل مكان، ويصلون بها إلى مخدعة، فالسلطة تلاحقه في كل مكان من ولادته حتى قبره وتوظف لذلك إمكانات عديدة، تستنزف أموالا باهظة، وأدرك السياسيون أيضا دور الكلمة المنتقاة في وسائل الإعلام، فاللغة بها العديد من وسائل التأثير والإقناع، فهي غزيرة التنوع وواسعة الدلالة ومتعددة الأساليب، والمرسل يستطيع أن ينتقي منها، ويقيم تراكيب لغوية جديدة تعبر عن مفاهيمه الخاصة وأبعاده الموجهة.

وقد أدت اللغة دورا مهما في إطار ثورة الاتصال الإعلامي، فقد وظفتها وسائل الإعلام – مكتوبة ومنطوقة – في مجالات مختلفة، وحرصت في إرسالها على أن تدعمها بالصورة، أو البث المباشر، واللغة المنطوقة خاصة أكثر تأثيرا في المتلقي، ووسائل الإعلام تعتمد عليها لما تتميز - عن قسيمتها المكتوبة - بالتعبيرات الصوتية التي تصاحب الكلام المنطوق، والحركات

الجسدية، والأبعاد المكانية والزمنية، والمصاحبات غير اللغوية التي يستعين بها المتكلم، والإحالة إلى العالم الخارجي، فالخطاب المنطوق أكثر تفاعلا مع العالم الخارجي، وأكثر تعبيرا عن خوالج النفس، والجمهور يرى حالة المرسل النفسية وانفعالاته، فالصورة جزء من الخطاب المنطوق، والجمهور يسد بها خلة التراكيب، ويكمل بها المعنى الذي سكت المرسل عن قوله، ويستطيع المرسل من خلال هذه الوسائل التأثير في المتلقي وإثارته، وإقامة قناة مفتوحة معه يستطيع أن يعبر منها إلى لبه فيقنعه بمضمون خطابه، ويستعين في ذلك بوسائل إقناعية من اللغة والعالم الخارجي. وتمثل اللغة النسبة العليا في وسائل الإعلام من بين وسائل الاتصال الأخرى: الحركات، والإشارات، والرموز، والهيئات، فهي المادة الأولى في إقامة خطاب إعلامي ناجح، ويزداد التأثر بها عندما تكون واقعية، ومباشرة، وتتمتع بخصائص أسلوبية وتراكيب يستطيع المتلقي فك شفراتها.

ويقوم علماء الإعلام بتوظيف اللغة بما يلائم وسيلة الإعلام، فلغة المذياع تحتاج دقة، وتفصيلا، وشرحا، وتعبأ بالأوصاف والتعليقات، والجمل الاعتراضية التوضيحية، وذلك أن المرسل يتواصل مع المتلقي دون أن يراه، والمتلقي لا يشارك في الاتصال عمليا، فدوره التلقي فقط، ورد فعله غير واضح لدى المرسل، ومن ثم يضع المرسل كل الاحتمالات في تواصله، ويحرص على إرسال رسالة تامة يفهمها المتلقي دون عناء أو مشقة، فيلجأ إلى الأساليب المباشرة من الخطاب اليومي، ويختار مفردات شائعة الدلالة سريعة الفهم، قوية التأثير، ويردد غالبا مفردات وتراكيب معينة تعبر عن الاتجاه الذي تتبناه الإذاعة، والسلطة من ورائها ! وقد تمكنت وسائل الإعلام الحديثة من مخاطبة الجمهور في بعض القنوات مباشرة، فاستطاعت أن تفتح اتصالا مباشرا، فيعلق المتلقي على الخطاب بمداخلات فيه، ويبدي رأيه ويعقب ويضيف ويسأل، وهذه النوع من التواصل أكثر تفاعلا، وتأثيرا، وتتوفر فيه آليات الإقناع خلافا عن توجيه الرسالة من طرف واحد.

والتواصل مع التلفاز وغيره من وسائل الاتصال التي تقيم مواجهة بين المرسل والمتلقي مشافهة ورؤية أكثر فاعلية وتأثيرا وإقناعا، فطرفا الاتصال يستطيعان فهم مضمون الرسالة لغويا وتعبيرا بالمصاحبات اللغوية التي تساهم في توضيح الرسالة، إضافة إلى الحركات الجسمية، والإشارات والعالم الخارجي، وهي عناصر إضافية توضح مضمون الرسالة، ولها دورها في التعبير والتأثير.

وقد أدرك الإنسان قيمة العناصر غير اللغوية في الاتصال، فالخطيب كان يعبر عن مضمون رسالته بالعناصر الصوتية نحو النبر والتنغيم، والإيقاع ومعدل السرعة في الأداء، والوقفات، ويوظف فيه أيضا أعضاء الجسم التي تؤدي حركات دلالية في الخطاب تعبر عن الحالة النفسية.

وهذه التعبيرات الرمزية تكمل المعاني التي سكت عنها، وتفسر المبهم، وتجسد المعنى، فالمتلقي يتلقى الرسالة بأذنه وعينيه أيضا، والعين رسول الصدق عما تسمعه الأذن، وقد كان الخطيب يستعين بما تيسر له من أدوات إقناعية لغوية وغير لغوية، والتلفاز والسينما والمسرح، تنقل المعنى إلى الجمهور بالصوت مدعما بالصورة والحركة والأداء التمثيلي، وقد يستطيع الإنسان التعبير بالحركات والصور دون اللغة، وقد كانت الأعمال الفنية تقدم في السينما صامتة، وقد كان الممثل يبذل قصار جهده في الحركة ليسد الفراغ الذي تركته اللغة، وقد كان المشاهد يتعرف على مدلول هذه الحركات، وكان يكابد مشقة، لأنه يركز على ملاحظة الحركات، لئلا يفوته شيء منها، فيفقد التواصل مع العمل الصامت الذي غابت عنه اللغة، فالمرسل والمتلقي يبذلان جهدا كبيرا في عملية الاتصال غير اللغوية، والمتلقي في هذا النوع من الاتصال تعوذه ثقافة واعية يستطيع منها فهم الحركات وتفسيرها.

واللغة والأداء التمثيلي يمنحان المتلقي فكرة شافية وافية عن مضمون الخطاب، فالدلالة تكتمل فيهما معا، والمعنى الذي يعجز عن فهمه من اللغة توضحه له الصورة الحركية، ولهما معا أثر بعيد التأثير شافي الإقناع؛ لأنهما يصلان به موضع الصدق.

واشترط البلاغيون في المرسل الناجح أن يكون واضح الفكرة قادرا على التعبير عنها، فصيحا، بليغا، وأن يحسن توظيف خطابه في سياقه، وأن يجيد التواصل مع الجمهور، وأن يكون خبيرا بعناصر التأثير فيه، وأن يكون قوي الملاحظة لرد فعله، وأن يقيم علاقة مباشرة مع الجمهور، وأن يبث الرسالة وفق مقتضى حاله.

وتوجد عوامل تساعد في نجاح الاتصال، منها:

- أن تكون لدى المرسل معلومات كافية ووافية عن الحدث، ليعكس الحدث، ويبينه للجمهور ويقدم إليه خبرا جديدا ومثيرا.

- أن يختار المرسل أيسر السبل في التواصل وأفضلها، وأكثرها انتشارا، وأقواها، وأحدثها، وأدقها في نقل الحدث اللغوي.

- أن تكون الرسالة خالية من العيوب الفنية، نحو التشويش والأعطال المفاجئة، وغير ذلك من الأشياء التي تفسد عملية الاتصال، وتقطع على المتلقي طريق الفهم والاستماع ومتعة التذوق والتأثر والاستجابة، فسرعة الاستجابة تتولد عن سرعة الفهم والتأثير.

- أن تكون وسيلة نقل الرسالة متاحة لعدد كبير من الجماهير، كالإذاعة والتلفاز والصحف، فعدد الجمهور له دور في نمو عملية الاتصال، وكلما كانت الوسيلة ميسرة وسهلة زاد عدد الجمهور وحققت الرسالة نجاحا كبيرا، فالمذياع والتلفاز أيسر الوسائل المتاحة لعامة الجماهير، فالإعلام المسموع والمرئي يستطيع التواصل مع الأميين، وغير المثقفين خلافا للصحف التي تحتاج قارئا صبورا، والتلفاز أكثر تأثيرا من الإذاعة لأنه يوظف الصورة والحركة مع الصوت في التواصل.

- أن تكون اللغة مباشرة يعرفها المتلقي ويأتنس بها، فلا تنفره أو تلتبس عليه، ولا تعضله، وأن تكون موجزة مركزة، جملها قصيرة، وتراكيبها موحية، وأن تتمتع بخصائص أسلوبية فيها تشويق **Pleasantness**، وإثارة ولغة الخطاب اليومي المتوسطة يفهمها الجمهور المتنوع، وقد نجحت وسائل الإعلام في صناعة مستوى لغوي متوسط مكتوب ومنطوق تتواصل به مع طبقات الجماهير ويتوازى مع حصيلتهم اللغوية.

- وأن تتسق اللغة مع السياق الذي جاءت فيه، وأن تعبر عن مضمون الفكرة التي جاءت لها، ويشترك لهذه اللغة الصحيحة ما يأتي:

- أن تكون موافقة عرف القواعد العربية بنية وتركيبا.
- أن تكون معانيها واضحة لا تحتاج معجما، وأن تكون دلالتها في سياقها الذي وضعت له.
- أن تصلح للأساليب البلاغية التي تزيدها جمالا وغزارة وتأثيرا.
- أن تناسب الجمهور، والعالم الخارجي، فتتحقق فيها الملائمة **Appropriate**.
- أن توظف فيها المؤثرات الصوتية كالنبر والتنغيم والإيقاع وسرعة الأداء، وذلك في الخطاب المنطوق، وأما المكتوب فالمرسل يوظف فيه إمكانات لغوية عالية، لئلا يحتاج إلى مكملات خارجية تسد العجز الذي قد تتركه الكلمات.
- أن تكون صالحة للتجديد والتطوير، فتصلح لصناعة قوالب لفظية جديدة، والإعلام السياسي له قدرة عالية على إنتاج مفردات وتراكيب جديدة لها دلالات مؤثرة في

الجماهير نحو: العدالة الاجتماعية، المساواة، محكمة العدل الدولية، منظمة حقوق الإنسان، المنظمة العربية للعلوم والثقافة.

- أن تكون قريبة من لغة الخطاب اليومي أو اللغة التي يتواصل بها المجتمع، فتقوم على الجمل القصيرة أو التراكيب البسيطة، وأن تعتمد على الأشكال الملموسة التي يعتمد عليها الخطاب المباشر.
- أن تتفاعل مع العالم الخارجي في إطار الزمن والمكان، فيكون للزمن حضور فيها، وللمكان مشاركة لفظية وإحالية بالضمير والظرف، وأن تكون الفكرة مستوحاة من الواقع.
- أن تكون لغة محايدة لتحظى بالقبول لدى الجماهير الذين تختلف مشاربهم، ومذاهبهم.

إن لغة الإعلام تمثل واجهة اللغة المشتركة المعاصرة، فتعتمد على لغة تتسق مع مخارج أصوات العربية الفصحى، وتستخدم ألفاظا شائعة معروفة الدلالة، فاللغة الإعلامية توليفة بسيطة ومركزة من لغة الخطاب اليومي واللغة الأم التي تعد مصدرا رئيسا يحتكم إليه في أبنية اللغة وتراكيبها، فالإعلام يقدم لغة تشاكل لغة الخطاب اليومي وتتوازى معه غي أنها تكتب، وهي سهلة الفهم، وتعد لسانا مشتركا في الدول العربية، ونعني من بين الأحاديث الإعلامية لغة الإخباريين والمعلقين السياسيين والمراسلين، دون لغة خطاب المذيعين الذين يتحدثون العامية، ورجال السلطة يتواصلون مع الجمهور بلغة الإعلام، وتعد أيضا لغة مشتركة في العالم العربي، فالإعلاميون يتواصلون بمستوى متقارب، ويحرصون جميعا على الحفاظ على شكل اللغة وأدائها الصحيح، وقد يبني الإعلاميون هذا المستوى من اللغة ليكون لغة تواصلية مع جماهير لا تستوي في المعرفة ولا في علم العربية، فبعضهم متعلم يستطيع القراءة فقط دون خلفية ثقافية، وبعضهم أمي، وهم كثير، وبعضهم مثقف، وهم قلة. ومن ثم اختار الإعلام مستوى من اللغة يفهمه العامة، ولا يأنف منه المثقفون، ويمثل العوام نسبة عالية من الجمهور، وهذه اللغة يأتنس بها ويقبل عليها؛ لأنها تمثل جزءا من تراثه الشعبي اليومي.

لقد كان الخطاب الذي يوجه للجماهير في مصر في حقبة العصر الملكي ذا لغة غير شعبية وليست فيه جماهيرية ، فالملك، أو السلطان، أو الخديوي يتحدث التركية أو العربية الفصحى، ويستخدم فيها ضمير " الأنا العليا "، و" نحن " التعظيمية، ويضيف الوطن ومؤسساته

إلى ذاته العلية، فيقول: مملكتنا، مصرنا، جيش حضرة مولانا الملك، وبوليس حضرة مولانا الملك، وصاحب النعمة المعظم، وغير ذلك من الألقاب المتعالية التي يشعر منها الجمهور بحقارة نفسه أمام الأسرة الحاكمة، فلا يوجد اتصال يأتنس به الجمهور، بيد أن حركة الجيش التي قام بها جماعة من أبناء الطبقة المتوسطة من ذوي المؤهلات الثقافية المتواضعة، اختارت لغة الشعب الدارجة، واعتمدت على الخطاب الشفاهي المباشر، والقوالب اللفظية المتداولة، والأقوال السيارة، وأكثرت من تواجدها بين الجماهير، والالتقاء به، والسعي إليه في الأقاليم، ووظفت الإذاعة لتنقل إلى الجماهير أخبارها وإنجازاتها وخدماتها التي قدمت لرعاع الناس وذوي الحاجات، والإذاعات تحدث بذلك وتردده ليل نهار، والصحف تبدأ بعناوين مثيرة " القضاء على الإقطاع " ، " توزيع الأراضي على الفلاحين " ، " القضاء على الفساد وسيطرة رأس المال "، وترفق هذه الموضوعات بصور لرجل السلطة يمنح فلاحا بسيطا عقد أرض زراعية، وجموع الجماهير تحدث بذلك، ويصفقون ينتظرون عقدا مثله لأرض انتزعت من آخر باطلا أو حقا، لا يدرون ما وراء ذلك، فالهدف الأرض التي يهبها من لا يملكها إلى من لا يدفع ثمنها !

لقد كان لهذه الدعاية الثورية أثرا كبيرا في الجماهير التي جعلت من رجل السلطة مخلصا مثاليا ورسولا يهبهم الحياة والسعادة، ويقيم لهم جنة في دولته التي انتسبت له، ولقد كان لهذا الخطاب صدى واسعا بين طبقة الفقراء التي تشغل مساحة كبيرة من المجتمع.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل هذا الخطاب الثوري الذي اجتاح العالم العربي، وصنع لنفسه شعبية واسعة فيه، ومازالت بقاياها قائمة عند بعض من عاصروه، وعند الذين يوالون هذه الحقبة كان صادقا ومنطقيا ويتجانس مع الواقع، وهل يصلح في الأوضاع السياسية القائمة، وهل سيتقبله الجمهور بالحفاوة التي استقبل فيها في الخمسينات والستينات ؟ الإجابة ستجدها في الأوضاع العربية المعاصرة التي فضحت الأنظمة السياسية، وفضحتها النتائج النهائية التي وصلت إليها هذه السياسات، إن السياسات العربية تقوم على أفكار ثورية وحالات انفعالية غير متزنة، وليست فيها أناة، وهي في عجلة من أمرها، وتتحدث بما لا تملك ولا تستطيع عليه، فلا تتسق مع الواقع الذي يفضحها دائما.

والخطابات الثورية فضفاضة هشة تفرغ من مضمونها مع أول ريح عاصف، ويظنون أنهم بنوا دولة قوية توازي مضمون خطابهم ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن

البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[العنكبوت:٤١]، هذه حقيقة الخطاب العربي الذى لا ينبثق من الواقع، وليس موضوعيا، ولا يستند إلى الحقيقة التي يدعيها، بيد أنه يعتمد على لغة واقعية جماهيرية مؤثرة، ويتمتع بأداء قوي، فيه ثقة وإعزاز، وأسلوبه خلاب، وصاحبه صلب رابط الجأش عالي الرأس، يبني ويدمر، ويشعل الحرب وينتصر، ويحرر الأرض، ويجتاز الأزمات زمن أداء الخطاب، والجماهير تصفق، ووسائل الإعلام تعلق وتحلل وتفسر وتردد وتكثف حملاتها الدعائية، ويستيقظ الجمهور في الصباح على مواجهة صارمة مع الحياة اليومية، ليس له نصير فيها إلا الله تعالى.

ولكنه استطاع بعض الوقت أن يتوهم أنه تجاوز الأزمات وألقى بالأثقال، واغتبطه شعور بالأمل في زمن أداء الخطاب، ونام هادئا تلك الليلة بعد أن استمتع بخطاب أرداه قتيل الأحلام، وأيقظ فيه أحلام الطفولة، وخدعه عن نفسه، فتناسى همه، ونام في غفلة منه، ولم يشك في مضمون الخطاب لقد سمع هو نفسه الخطاب، ووسائل الإعلام أكدته بهالة الدعاية، وبما يكتنزه من وعود وعد بها أصحاب الحاجات، ورد فعل الجماهير وانفعالاتهم خلال أداء الخطاب، جعلانه يكذب ما هو فيه، إنه علم هو نفسه عناصر الخطاب، فعلم القائل وشاهد رجل السلطة المسئول عن قضيته، وقيل الخطاب في زمن كذا من يوم كذا ... في مكان كذا ...، وتناول موضوع كذا ...، وسببه ... وحضره الجمهور، وتناولته وسائل الإعلام كتابة وصورة وصوتا، وقد تضامنت هذه العناصر معا في إقناعه بالمضمون، لكنها لم تحقق إنجازا عمليا يزيح العناصر العقيمة عن مواضعها أو يحرك الأمة الراكدة في مستنقع الجدال.

لقد توفرت في الخطاب عناصره التواصلية والإقناعية نصيا، لكنه مازال يحتاج مقارنة بالواقع السياسي الموضوعي المغيب في الخطاب اللغوي.

وقام بعض المتخصصين بإعداد بحوث تعالج لغة الإعلام وأثرها في المتلقي، وأهم وسائل التأثير، وأدوات الإقناع، وظهرت في هذا المجال " نظرية الاتصال " و " نظرية المعلومات " أو " علم العلاقات "، وتقوم هذه النظريات الإعلامية بإحصاء مفردات اللغة لتحديد حقولها الدلالية، وبحث خواص التركيب في النص الإعلامي، وبحث مضمون النص، والهدف منه، والآثار التي ترتبت على إرسال النص أو ما يعرف برد الفعل أو الاستجابة، وعالجوا كذلك الإشارات والحركات التي توظف إلى جوار العناصر اللغوية في التواصل.

وهذه البحوث اختص بها حديثا " علم اللغة الإعلامي " أو " علم الإعلام اللغوي " تشبيها بعلم اللغة العام الذي يدخل تحته: علم الأصوات، وعلم المعاجم، وعلم اللغة النصي، وعلم الدلالة ... ويدخل تحته أيضا النظريات التي تتعلق بعلم اللغة نحو: نظرية السياق، ونظرية الحقول الدلالية ... والمناهج البحثية نحو: علم اللغة التاريخي، وعلم اللغة المقارن، وعلم اللغة الوصفي، وعلم اللغة الجغرافي وغير ذلك من المجالات اللغوية، وعلم اللغة الإعلامي يوظفها في بحوثه الاتصالية.

ولغة الإعلام لا تعني لغة الأدباء أو الشعراء التي تتوفر فيها خصائص أدبية ترفعها عن مستوى الخطاب اليومي، ولا توصف بما توصف به اللغة الأدبية من تذوق فني، وليست كذلك لغة علمية مركزة تتناول الأشياء تناولا مباشرا يخلو من الصنعة، بل هي لغة خاصة فيها جوانب أدبية وجوانب الأسلوب العلمي، فهي ليست مجردة من الصنعة اللفظية، وليست كذلك لغة تخيلية فيها مبالغات، ومضامين خيالية، إنها لغة متوسطة تتناول الموضوعات تناولا مباشرا، وتصفها بلغة قريبة الدلالة سريعة الفهم تقترب كثيرا من لغة الخطاب اليومي، وتتفاعل مباشرة مع الواقع الخارجي، وفيها كثير من التراكيب الجديدة، التي تعبر عن معان حديثة، فالحدث يصنع لغة خاصة به، قد تنتهي بموته، وتحمل طابع الدقة، والحيوية، والوضوح، ويختلف الأسلوب باختلاف المشاركين في الحدث، ومضمون الموضوع، وعلاقته بالعالم الخارجي، ويتأثر بالعوامل النفسية, والاجتماعية، والثقافية، والموقف أو سياق الحال، فاللغة تتأثر بثقافة المرسل، وجمهور المتلقين، والمناسبة التي تستخدم فيها، وتميل لغة الإعلام عامة إلى التبسيط والدقة والواقعية.

ولوسائل الإعلام قدرة فائقة على صناعة مفردات وتراكيب جديدة تحمل مضامين جديدة، ولها دور كبير في تطور اللغة وتجديدها، نحو: الهيكلة، والخصخصة، والبرمجة، والدبلجة، والاستنساخ، والعقوبات الذكية، وغسيل الأموال، والناتج المحلى، والتضخم فى عجز الميزانية، والعولمة، ودول الطوق، وتجميد الأموال، وثورة المعلومات، والسوق الاقتصادية، وسياسة القطب الواحد، ومحور الشر، والقضاء على الإرهاب، والحرب الوقائية.

وهذه مفردات وتراكيب شارك فى ظهورها التفاعل السياسى بين الدول، واستحدثت السياسة مصطلحات جديدة بديلا لمصطلحات ذات دلالة مستقبحة ومنها: نيران صديقة،

يراد بها القصف الخطأ لقوات الحلفاء، والعالم الثالث بـديلا للـدول المتخلفـة، وهـذا مـن بـاب تحسـين المفاهيم بألفاظ ذات دلالة حسنة.

وقد كانت لغة الصحف بدء ظهورها في مستوى اللغة الفصحى، فرواد الصحافة في مصر والقراء كانوا من الطبقة المثقفة التي تتمتع بعمق فكري وثراء لغوي، وكانت الإصدارات ضـئيلة، والقـراء قلـة أيضـا، ومحـترف هذا اللون الإعلامي كانوا من الموهوبين أدبيا وفكريا، ولديهم خلفية ثقافيـة واعيـة، وكـانوا يكتبـون لجمهـور خاص مثقف واع، وكان هـؤلاء القـراء يشرحـون مـا يقـرءون لعامـة النـاس، ويبسـطون فكـرة الخطـاب بلغـة الخطاب اليومي، وكان هذا اللون يدعم ثقافة القارئ ويزيد مفرداته ويعمق أفكاره بيـد أن الصـحافة تخلـت عن جمهورها المثقف الذي يشكل قطاعا صغيرا في الشعب، وانتقلت إلى جماهير الشعب عامة، وقـدمت لهـم الثورة ١٩٥٢م لونا هزيلا من الإعلام يعني بالخبر أو المضمون، ولا يكترث بعمق الفكرة، وقوة اللغة، وقد كون الإعلام السابق طبقة مثقفة تربت على الإصدارات التي كتبها رواد الفكر والثقافة في الحقبـة الملكيـة، فأنشـأوا صحفا قيمة ولكن بعض هذه الصحف أغلقت، وبعضها لم يجد دعما، وتوقف إنتاج هذا اللون المميز، وفقدت الساحة الثقافية مدرسة من مدارس المثقفين الواعين، واستبدل ذلك بلون هزيل سخيف يقدمه بعض ضـعاف الرأي والعلم ممن لا يملكون ناصية اللغة، ومـن لا قضيـة لهـم أو هـدف، وفقـدت وسـائل الإعـلام كثـيرا مـن كوادرها الرواد بتوقفهم عن ممارسة العمل الصحفى أو بمنعهم.

ونزل مساكنهم جيل هش ردىء لا وجه له ولا هدف ولا علم. فـامتلأ الإعـلام بالإسـفاف، وتحـول دوره من التثقيف إلى التضليل والتسخيف، وأصبح أداة لهدم قيم المجتمع، وتربى عليـه جيـل هزيـل ليسـت لديـه هوية وليس له هدف ينشده ويفتقد إلى القدوة أو النموذج المثال.

وهمش بعض السياسيين طوائف من المثقفين، وأغلقوا منافذهم الثقافيـة كـالمجلات والصـحف، وأقـاموا أخرى على مذهبهم تكتب ما يريدون، فغيبوا مـن يخـالفهم وأعـانوا اتجاهـات أخـرى تتخـذ العاميـة لسـانا، فتراجعت الأعمال الأدبية الراقية وحلت موضعها أعمال هزيلـة لا تحتـوى عـلى ألفـاظ معجميـة ولا توظيـف لعناصر الإبداع الأدبي التى تتبارى فيها الأساليب.

وقد نجحت بعض وسائل الإعلام فى توظيف اللغة العربية الميسرة فى التواصل مع الجماهير، وقدمت أعمالا فنية راقية اعتمدت فيها على خطاب عربى صحيح، وتواصل دورها فى تعليم الأطفال اللغة، ولا ننكر على بعض السياسيين قدرتهم على أداء خطاب سياسى صحيح لغويا، ويتحدثون بها فى اللقاءات الرسمية والبيانات والقرارات ولهم قدرة عالية على القراءة.

** ** ** **

أثر وسائل الإعلام في اللغة

وظيفة اللغة الإعلامية في المقام الأول، تعبيرية أو تبليغية، فالمتكلم ينتج اللغة ليعبر بها عما في نفسه، وقد عرف ابن جني اللغة، فقال: " اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "، فوظيفة اللغة التعبير، والغرض أو المقصد أو الهدف من التواصل الإبلاغ، وكلمة قوم تعني أن اللغة لها طبيعة صوتية اجتماعية، فاللغة تولد في كنف المجتمع، فهى ظاهرة اجتماعية توجد حيث وجد المجتمع، وهي نظام اجتماعي يتواصل بها المجتمع ويعبر بها عن أفكاره، وتنمو اللغة بنمو المجتمع وتتسع باتساعه وتتطور بتطوره.

وأهم وظائف اللغة الإبلاغ، وتعد أهم قنوات الاتصال، فهي الوسيلة الأولى في التواصل الاجتماعي لغزارة الدلالة فيها ورصانة التعبير، وقوة الإبلاغ والتأثير، وبها أساليب متنوعة يوظفها الإنسان في التواصل للتأثير والإقناع، فهي أهم وسائل الاتصال الإنساني لما بها من إمكانات عالية لا تتمتع بها الحركة أو الإشارة في التعبير، وقد نالت اهتمام اللغويين والتربويين وعلماء النفس والاجتماع وغيرهم من المتخصصين في العلوم الإنسانية، لما لها من قدرة عالية في الإفهام وتوصيل المعلومات، والتعبير عن الأفكار في أشكال لغوية تتعدد بتعدد الجمهور، وتختلف باختلاف مستوياته.

وتوجد علاقة حميمة بين اللغة ووسائل الإعلام، فهي أهم قنواته الإبلاغية في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة. وظهر حديثا ما يعرف بعلم الإعلام اللغوي: وهو العلم الذي يدرس لغة الإعلام، وأثرها في الجمهور وأهم الأساليب اللغوية التي يستخدمها الإعلاميون، والمستوى اللغوي في التخاطب الإعلامي.

واستفاد الإعلاميون من الأحكام النظرية والتطبيقية التي يقررها علم اللغة في الميدان الإعلامي، وأثر الدراسات والآراء التي طرحها علم الإعلام فى اللغة، وكيف تعامل الإعلاميون مع نسق العلامات اللغوية التي يستخدمونها في التفكير والإقناع أو توصيل المعلومات والأفكار من خلال وسائل الإعلام، وما هي أفضل الوسائل التي يستخدمها هذا العلم، ومدى تأثيرها وتأثرها بما قدمه له علم اللغة من أحكام نظرية وتطبيقية[١].

---

(١) ارجع إلى: البحث الذي أعده الدكتور هادي نهر (من العراق) بعنوان اللسانيات والإعلام التأثير والتأثر. مجلة اللسانيات العربية والإعلامية، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث، تونس، ١٩٥٩م.

ولقد كان لاختراع الكتابة أثر كبير في التواصل البشري، ولها فضل كبير على اللغة، فهي التي حفظت تراثها ومفرداتها، واستطاع الإنسان بها نقل لغته إلى مناطق بعيدة، فاجتازت موانع كثيرة، لا تستطيع أصوات اللغة اختراقها أو بلوغ المتلقي الذي يعيش بعيدا عن المرسل، والكتابة التي نقلت اللغة من صورتها السمعية إلى صورة تراها العين أو تلمسها اليد، وتعد نشأة الكتابة ثورة في الاتصال الإنساني، فقد استطاع الإنسان تأسيس منهج علمي اكتشف به أسرار الكون، فاخترع تقنيات مفيدة وضارة.

وأول ما نزل من القرآن الكريم: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[العلق:١]. والقراءة يلزمها نص مكتوب والنص المكتوب يلزمه قلم ليكون مكتوبا أو مسطورا، والقراءة تعني أن شخصا كتب ودون ما عرف، والنهضة الإسلامية مبدأها العلم، فتطور في إثره الخط العربي، وقامت ثورة إعلامية في العالم الإسلامي، فقد نشأ ديوان البريد في العالم الإسلامي، وظهر الكتاتيب والمكتبات والمدارس والصحفيون (كتبة الصحف)، والوراقون، وظهر في العالم الإسلامي كتاب ملأوا الأرض علما وظلت الكتب تنسخ، واختص بالعمل فيها أهل الخط الذي يعد مفتاح الرزق لمن يحذقه، واستطاع الإنسان اختراع آلات الكتابة وكانت بمنزلة ثورة ثانية في التواصل البشري؛ فقد نشأت في عقب الطباعة الصحف والمجلات وكان انتشارها محدودا وإنتاجها ضئيلا إلى أن استطاع الإنسان تطوير الطباعة بآلات كهربية تعمل بطاقة قليلة في وقت وجيز.

وقامت ثورة ثالثة في الاتصال، وهي ثورة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وهي وسائل اتصال سريعة جدا، وواسعة الانتشار، وسهلة الإرسال والبث، ولها القدرة على اجتياز العوائق الطبيعية والبشرية، وتستطيع أن تخترق مجالات كثيرة ذوات خصوصية، والثورة الرابعة في الاتصال أحدثها " الكمبيوتر " وثورة المعلومات عبر الإنترنت، ويعد هذا أعظم خطر تقني اكتشفه الإنسان[١]. لقد ساهمت هذه التقنيات في سرعة تداول الأنباء، وانتقال المعلومات، ورفعت الحواجز بين الثقافات، فلم تعد هنالك خصوصية أو عزلة. وقد أحدث نمو وسائل الاتصال تغييرات اجتماعية شاملة فكرية ومعيشية، وأحدث هذا التواصل

(١) اخترع جوتنبرغ الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر، وظهر المذياع في بداية القرن العشرين، وظهرت الإذاعة المرئية قبل بداية الحرب العالمية الثانية.

السريع تطور سريع في حياة المجتمع، فأصبح التواصل بين أفراده مفتوحا، وانصهرت المجتمعات وتفاعلت أفكارها وثقافاتها، ونشأت ثقافة عالمية جديدة تدخل تحت ما يعرف بالعولمة الثقافية، وقد كانت الثقافات قبل قطرية أو قومية أو دينية، يقال: الثقافة الإسلامية، الثقافة العربية، والثقافة الشرقية، والثقافة الغربية، ولكن يصعب في ظل النظام العالمي الجديد تخصيص مصطلح الثقافة بأمة من الأمم أو دين في الأديان لصعوبة تخليص الثقافة أو تنقيتها من الآثار الخارجية التي تهب عليها من كل مكان وتجتاح حدودها اختيارا وقهرا، فالثقافة المعاصرة ثقافة عالمية، والفضل في ذلك لوسائل الاتصال الحديثة التي لعبت دورا رئيسا في توحيد الثقافة العالمية، أو تفاعل الثقافات المختلفة في العالم وانصهارها في إناء واحد، فتولد ثقافة جديدة مفتوحة تحمل في شخصيتها أنماطا متباينة وتعددية، ولا هوية فيها ولا نسب " اتسع الفتق على الراتق ".

وقد تكون الغلبة فيها للدول المهيمنة اقتصاديا، فالاقتصاد من أهم العوامل المؤثرة في اتجاه الثقافة العالمية الجديدة، وقد كان الأمر قبل بيد النهضة الثقافية التي هبت في أوربا وأثارها مفكرون وعلماء تقنيون، لكنها الآن من صناعة رأس المال وتفسر الظواهر العالمية في ضوء الثروات الطبيعية والبشرية، وتضع قدرا للبشر في الحياة مقدورا بقوتهم الاقتصادية، فالأمم الفقيرة متخلفة ولا قيمة لها، وثقافتها سبب مباشر في فقرها، ويجب عليها أن تستبدل ما هي فيه بما تمليه عليها الدول الغنية.

وأعادت القوى الكبرى تقييم الأمم بحسب الثروات ومهدت لغزو الأمم ذات الثروات بحملة إعلامية لاستقطاب الرأى العام وإقناعه بأكاذيبها لتبرير غزوها ابتغاء الهيمنة على ثرواتها، تحت شعار الحرب على الإرهاب، والقضاء على محور الشر، ونشر الديمقراطية، وتروج هذه الدول لهذه الأفكار من خلال وسائل الإعلام، التي تمارس أشكالا إقناعية متعددة، وتجد لها أثرا في بعض العقول الضعيفة أو النفوس التي ترغب في الانتفاع من تلك النعرات الهشة.

والأمم التي ترغب في إقامة حضارة تضع لبناتها الأولى على أرضها، وتقيم حضارتها لنفسها، فتجد في هذه الحضارة شخصية الأمة التي شيدتها فهذه حضارة مصرية وتلك فارسية وأخرى يونانية، وهنالك أوربية، لكننا لم نسمع قط عن حضارة أمريكية عربية، ولن نسمع البتة !

واللغات العالمية أصبحت مهددة أمام هذا السيل الإعلامي متنوع اللغات، والمشارب، ولكن هـل يصـنع الإعلام الدولي لغة مشتركة يتواصل بها العالم، أم سيلزم العالم بلغة أقوى دولة ؟!

ولغة وسائل الإعلام هي اللسان الذي يتحدث به الإعلاميون في خطابهم اليـومي إلى الجمهـور وأسـتثني من بين هؤلاء لغة الصحافة، فأنا أعني لغة البـث المبـاشر التـي يتلقاهـا الجمهـور كافـة بمسـتوياته المتعـددة متعلمين وأميين.

ولا تعني لغة الإعلام اللغة الفصيحة في وسائل الإعلام العربية، فوسائل الإعلام العربيـة لا تتحـدث هـي جميعها اللغة العربية الفصيحة، ولا تبث جميع برامجها باللغة الفصيحة، فاللغة الفصيحة تشغل جزءا ضـئيلا في وسائل الإعلام؛ لأن الإعلاميين يتحدثون اللهجة المحلية عن قصد ليتواصـلوا مـع الجمهـور أو يفعلـون ذلـك جبرا وليس اختيارا؛ لأنهم يعجـزون عـن الحـديث بالعربيـة الفصـيحة، فقـد تعلمـوا في مـدارس أجنبيـة أو في الخارج أو هم غير متخصصين في اللغة ولم يتلقوا دروسا فيهـا، أو لأن بعضـهم مـن الأوسـاط التـي لا تحسـن الحديث بالعربية ولا ترغب فيها بل عنها، ومنهم مـن لا يحسـن نطـق مخـارج الألفـاظ ناهيـك عـما يعانيـه بعضهم من أمراض النطق فلا يستطيعون نطق الراء، واللام، والجـيم، والسـين، والظـاء، والثـاء، والـذال وذلـك لعيب فى عضو الكلام.

ولا يميزون بين الأصوات فيخلطون بين التاء والطاء، والظاء. والزاى، والذال والزاي، والثاء والسين، والسين والصاد، والقاف والكاف، وغير ذلك من عيوب النطق، وذلك لجهل بمخرج الصوت وصفته.

ولغة وسائل الإعلام تعني – كما هو شأن الإعلام في مصر – لغة سكان العاصمة، ولا شك أن لغة الإعـلام في العالم العربي لا تخرج عن هذا وأستثني من بيـنهن بعـض الإذاعـات والقنـوات الدينيـة والثقافيـة، وبعـض البرامج العلمية التي لا يحسن الحديث فيها إلا بالعربية الفصيحة.

وهذه القنوات تتواصل مع الجماهير بلغة الخطاب اليومي الدارج، وقد أفقـدها هـذا المسـتوى اللغـوي الهابط دورها التثقيفي الجماهيري، فوسائل الإعـلام لـديها القـدرة عـلى تعلـيم الجمهـور، ويمكنهـا أن ترتقـي بلغته، وبثقافته، فتؤدي دورها الإصلاحي المنوط بها، لكنهـا تـؤدي دورا تخريبيـا في تسـخيف الفكـر وتغييـب الوعي وتغريب الشخصية العربية، وإسقاط

هويتها، وتقف من وراء ذلك بعض الحكومات التي تحرص على تسخيف الوعي الجماهيري، لتنفرد بالقرار دون مشاركة الشعب المغيب.

إن اللغة أداة التأثير والإقناع في الإعلام المسموع والمرئي والمكتوب، وهي وسيلة الاتصال الأولى في هذه القنوات الإعلامية، ولها أثر كبير في المجتمع، وأصبح الاتصال بالجماهير علما اجتماعيا جديدا، وفيه نظريات، وله متخصصون لما له من دور كبير في التأثير[1]، ووسائل الإعلام المشبوهة تنحو نحوا تخريبيا، تقوم فيه بالتعتيم، وبث قيم هابطة تخدم بعض المذاهب الشاذة الموجهة لتخريب مؤسسات الدولة التثقيفية.

ويعد الاتصال بالجماهيري عملية معقدة؛ لأنه موجه صوب جمهور كبير غير متماثل، مختلف المشارب، مجهول، متعدد الهوية والجنس والعقيدة، والمرسل مطالب بخطاب يتكيف مع هذه الأنماط المتعددة، ويتمتع بخصائص أسلوبية تميزه عن غيره من الخطابات التي توجه لجمهور شخصيته معروفة، فيصنع له المرسل خطابا يناسبه.

فالصلة وثيقة بين اللغة والإعلام، فهي أهم وسائل التخاطب البشري وأكثرها فاعلية وأثرا، وقد استطاعت وسائل الإعلام برموز غير لغوية مؤثرة أن تدعم بها دلالة اللغة، وتقوي تأثيرها، ومن ذلك الاستعانة بالصوت والصورة والرمز، فالصور تظهر إلى جوار الخبر، وقد تكون ثابتة أو متحركة أو تنقل الحدث مباشرا وعليه تعليق يفسره، فتعطي للمتلقي شعورا بالمعاصرة والتفاعل المباشر مع الحدث والمشاركة فيه، فيصبح مشدوها عند تلقيه بثا مباشرا يقدم له جديدا، وتقوى الصورة عندما تكون متحركة وتتصل مباشرة بالحياة اليومية التي يعاصرها المتلقي.

وتحرص وسائل الإعلام على تأكيد الخبر أو مضمون الرسالة بكل ما تملكه من أدوات إقناعية لغوية وأدوات توظفها من العالم الخارجي نحو نقل الصورة حية أو البث المباشر، وتعليق المراسلين.

وتلجأ وسائل الإعلام إلى كافة المستويات اللغوية التي تلائم جماهير المتلقين، فهي تارة تلتزم العربية المتوسطة وأخرى تتحدث الخطاب اليومي، فتكيف لغتها مع الجمهور الذي تتواصل معه.

---

(١) ارجع إلى: اللسانيات والإعلام، والتأثير والتأثر، مجلة اللسانيات العربية ص٣٥٧.

وقد استطاعت وسائل الإعلام صناعة خطاب شعبي جديد، وأصبح مؤلفا للجماهير المتنوعة على اختلاف تكوينها الثقافي ومستواها التعليمي، ويشبه هذا الخطاب اللغة المشتركة التي تتفاهم في إطارها الجماعات ذوات اللهجات المختلفة، وهذه الجماعات تستمع إلى خطاب إعلامي واحد، وقد كان هذا مفتقدا قبل اكتشاف وسائل الإعلام الحديثة، فقد كانت الجماعات تعيش عيشة الغرباء في المواطن التي تنزل بها، فلم يكن هنالك تواصل مباشر فيها.

ويعد عدم التواصل بين أصحاب اللغة في القديم من الأسباب التي غزت نمو اللهجات، فقد كانت القبائل العربية لها لهجات خاصة، وتعد لغة سكان البادية أفصح اللغات (اللهجات) وقد أطلق عليهم الأعراب وهم أهل الوبر الرحل، مثل تميم، وهذيل، وأسد وغفار وأسلم وهوازن وغطفان وجهينة وغيرهن من القبائل التي عاشت مجتمعة تقيم معا وترحل معا، فاحتفظت كل قبيلة بخصائصها الأسلوبية في حديثها وتميزت عن غيرها، وهؤلاء غير سكان المدن مثل مكة والطائف ويثرب ممن كانوا ينزل بهم الناس، فيخالطونهم في الحديث ويتأثرون بغيرهم في تواصلهم اليومي كما أن أهل المدن أكثر تأثرا بالثقافات الوافدة ولغات الأمم التي يتصلون بها، وأنهم أكثر عرضة لعوامل التطور الحضاري والغزو الثقافي من هؤلاء الأعراب الذين يعيشون في عزلة شبه دائمة بالصحراء يتعقبون الكلأ، ونزول المطر.

وقد حافظت هذه العزلة على لهجات هذه القبائل فترة طويلة حتى وطأت أرضهم جيوش الفتح، فدخلوا في الإسلام، فحملوا اللواء، وتركوا البداوة بعد أن اطلعوا على حيات المترفين من أهل الحضر ـ وما يرفلون فيه من نعيم، وشخصت أبصارهم عندما رأوا حضارة الأمم الأخرى، هنالك سقطت أسوار العزلة، وتعرضت لهجاتهم لأعنف حملات الغزو من قبل لهجات أهل الحضرـ ولغات الأمم الأخرى، كما خالطهم الأعاجم فأفسدوا لهجتهم النقية التي احتفظت بخصائص اللغة الأم، وهذه اللهجة النقية التي عدها علماء العربية مادة غنية يتخذون منها أمثلتهم وشواهدهم في تأسيس قواعد العربية كما أقاموا معاجم اللغة من ثروتهم اللفظية، وعدوها لغة فصيحة يحتجون بها ويهملون ماعداها من لغات المدن والقبائل التي خالطت الأعاجم، فأفسدوا صفاء لغتهم بألفاظ دخيلة، واعوج لسانهم ففشا فيهم اللحن، وعجزوا عن أن يقيموا لفظا صحيحا يوافق لغة الأعراب الذين أقاموا لغتهم صحيحة شفاهة دون أن ينظروا في قواعد النحو أو معاجم العربية.

لقد أصبح أهل المدن بعد أن خالطوا الأعاجم في عداد الأعاجم؛ لأنهم لا يستطيعون أن يقوموا لسانهم الذي تأثر بمظاهر لغة الأعاجم إلا من تلقى منهم قواعد العربية، فقد تحولت العربية من لغة خطاب يرتجلها العربي القح إلى لغة تعليم ينظر المتكلم بها ما تعلمه ليقيم عليه خطابه، ولا يخلو لسان المتكلم من لحن أو سقط أو ضعف.

ويلاحظ حديثا أن لهجات الأقاليم تندثر أمام لغة وسائل الإعلام، وأصبحت هنالك لغة مشتركة هي اللغة التي تتحدث بها وسائل الإعلام، وهي لغة لا شك هزيلة، وليست من اللغة الفصحى في شيء اللهم إلا بعض البرامج الواعية التي يشرف عليها مقدم مثقف.

فقد لاحظت أن بعض قبائل البدو التي كانت تجوب منطقة الدلتا في مصر- لها لهجات خاصة، وكأنها لغة مستقلة، ولكن هذه القبائل استقرت ببعض المناطق الريفية في قرى فتخلت عن لهجتها وتحدثت لسان الفلاحين الذين حلت بأرضهم، فكانت الغلبة للهجة الفلاحين وتلاشت لهجتهم، وهذا لا يعني تلاشيها تماما فقد تسربت بعض مفردات هؤلاء الأعراب إلى لسان سكان المناطق التي حلوا بها، وتخللت بعض ألفاظهم ألفاظ الفلاحين ونشأ بينهم لسانا مشتركا يتواصلون به، ولكن بقيت بقية من لهجة الأعراب يتحدثون بها فيما بينهم، بيد أنها معرضة هي الأخرى للاندثار، فالأجيال الجديدة منهم خلعت الجلباب والعمامة، وتعلموا في المدارس وأدوا الخدمة العسكرية.

ويلاحظ أن اللهجات في عصرنا الحديث تتعرض لحملات إبادة واسعة لتحل محلها لغة مشتركة، وقد يكون الأمر في ظاهره حسنا، ولكنه في باطنه يحمل خطرا عظيما، فاللهجات وإن اختلفت فهي تحمل في صفاتها خصائص العربية الأم وكثيرا من مفرداتها الفصحى، ولكن هذه اللغة المشتركة ما هي إلا شوائب لحنية وخليطا من اللغات الأجنبية، وتبتعد في مظاهرها عن اللغة الفصيحة التي نجد كثيرا من رواسبها في لهجات المناطق النائية التي عاشها في شبه عزلة، وهي غير المناطق التي فشا فيها التعليم فانفتحت على العالم الخارجي، ففسد لسانها مثلما حدث للسان المدن الكبرى.

فاللغة العربية بعد أن أهملت في الوسط العلمي تعيش غريبة في بيتها، فالوسط العلمي يتجاهلها ولا يستخدمها لغة رسمية له ومن ثم فهي تتقهقر أمام تقدم غزو اللغات الأجنبية وتنزوي بعيدا عن الأضواء؛ لأنها ليست لغة العلوم، وليست لغة العلم في أمة تنسب إليها، ويدعي القائمون على العلم أنهم عرب نسبا وليس سلوكا، ومازالت قضية تعريب العلوم

بين مؤيد ورافض، وضاعت العربية الفصيحة بينهما. وتعد لغة المتعلمين أسوأ من لغة الأميين في المناطق الريفية النائية، بل قد ينطق الأمي بما هو أفصح؛ لأن مصدر لغته يمتد إلى العربية، بينما لغة المتعلمين مصدرها مفردات دخيلة ناهيك عن تأثرهم بمخارج اللغات الأخرى، فضاعت مخارج الأصوات العربية، فالقاف انقلبت كافا والثاء تاء والظاء زايا والذال زايا أيضا والجيم العربية انقلبت "g" إنجليزية، أو "j"، فكثير من الأصوات انقلب إلى ما يعادلها في اللغات الأخرى أو القريب منها مخرجا أو صفة.

أما عن التراكيب اللفظية فهي أكثر من أن تحصى؛ لأنها تزيد كل يوم، مثل الباب الحديد، والأصل باب الحديد، وإسلامية المعرفة والأصل المعرفة الإسلامية، ومثل العربية السعودية، والأصل السعودية العربية تأثرا بالإنجليزية التي تسبق فيها الصفة الموصوف، وغير ذلك من التراكيب التي تترجم كما هي من وسائل الإعلام دون أن يكون المترجم العربي ملما بأصول لغته، فيفسد اللسان بما يلقى عليه كل يوم من تراكيب ويرددها مرارا حتى تعلق بالأذهان وتصبح تركيبا قائما في الخطاب اليومي. أضف إلى ذلك المفردات ذات الدلالات المسموعة التي تتناقلها وسائل الإعلام وتحمل مضامين مخالفة للدين وتقاليد المجتمع، والتي تسيء الفهم مثل: المتطرفين المسلمين، الإرهاب الديني، الإرهاب الإسلامي، الإسلام السياسي، الأصولية الإسلامية، المتعصبين المسلمين، ودلالة هذه التراكيب لا تنصب على أشخاص بل ترتبط في أذهان المسلمين وغيرهم بالدين نفسه، فالإسلام بهذا المفهوم دين تطرف وإرهاب؛ لأن اسم الإسلام قرن بالإرهاب والتعصب، ثم حملوا الجزء على الكل في " الإسلام السياسى "، فقد فصلوا الإسلام الذي يشمل العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب وضمنوه في جزء من جزء، وهو السياسة، وهو تكثيف للدين فى فرع من فروع مصالح الدنيا، كما أن تركيب الإسلام السياسي يخلو من مضمونه الحقيقي، وهو السياسية الشرعية التي تقوم على روح الدين ولا تخالف نصا وهدفها مصالح الناس، ففرغ الإسلام من مضمونه هذا وألبسوه مفاهيم باطلة قد تعني الجماعات الانفصالية التي تتبنى أفكارا دينية، وتفسر النصوص وفقا للفكر الذي تبناه وتأول النصوص في ضوء ما تؤمن به من أفكار، وكذلك الجماعات التي تناهض السلطة في الأقطار الإسلامية بدعوى أنها علمانية أو لا تطبق الشرع أو أنها منحرفة ظالمة توالى الغرب.

وكذلك يفسر الإسلام السياسي في ضوء العمليات المسلحة التي تقوم بها بعض الجماعات في صراعها مع السلطة، فالإسلام في مفهوم هؤلاء وثيق الصلة بممارسات الجماعات سواء أصابت أم أخطأت وغالبا هي في أعينهم مخطئة، والإسلام في ضوء سلوك المسلمين أصبح شبحا مرعبا وتطرفا في مفهوم من لا يعرفه، وكثير من المسلمين لا يعرف عنه شيئا، ومن ثم فليس غريبا أن يخرج من المسلمين أفراد يرددون أباطيل أعداء الإسلام، بل ارتبط الالتزام في الإسلام بهواجس مخيفة تنتاب رجال السلطة، وتؤرقهم فشبح الملتزم يهدد أمنهم بل وأمن المجتمع.

لقد تحول الإسلام من عقيدة روحية ترقى بصاحبها روحيا وماديا إلى عكس حقيقته، فالناس لا يتلقون الإسلام من القرآن والسنة ليهذبوا سلوكهم في معاملاتهم بل يتلقون الإسلام من أخلاق الناس، ويعكسون هذه الممارسات المشينة على الإسلام، وكأنهم يصححون الدين، فنبذوه ودعوا إلى تجديد الخطاب الديني، فغربوه، وجعلوه خطابا علمانيا، ويدعون إلى تصحيح مفهوم الإسلام عند الغرب، ويضجون غضبا وتأخذهم الحمية عندما تتبنى الدول الغربية موقفا ضد المسلمين أو الأقليات المسلمة في الغرب، أو تمنع ارتداء الزى الإسلامى، والإسلام يحارب علنا في الدول الإسلامية، ويحتاج من يدافع عنه، ويصحح مفهومه عند المسلمين! ويتحدثون عن العروبة والوحدة العربية، وقد ضيعوا الدين الذي جعل لهم وجودا دوليا وضيعوا لغته التي حفظها، وحفظتهم من أن يكونوا غير عرب، والإسلام واللغة العربية هما ما يميز الشخصية العربية محليا ودوليا، والعرب أنفسهم لا يعيرونها اهتماما، فأنى تكون لهم وحدة أو تقوم لهم جماعة ؟!

وتعيش اللغة العربية فترة عصيبة من تاريخها العريق الزخم بمعطيات تراثية عظيمة، جعلتها صاحبة أكبر تراث عالمي وأطوله عمرا، وأكثره تنوعا وشمولية، فلا تستطيع أمة أخرى أن تفاخر الأمة العربية الإسلامية بتراثها، فالتراث العربي يضرب بجذوره قبل الإسلام في أربعمائة عام أو تزيد، وأثمر ثماره عبر القرون الفائتة، ومازال يثمر ويعطي إلى يومنا هذا، وهو قائم ومستمر - إن شاء الله - في كنف لغة القرآن الكريم إلى يوم الدين، وسيظل منسوبا إلى اللغة التي كتب بها وهذه اللغة رهينة كتاب الله تعالى، ومحفوظة به إلى ما شاء الله.وهو تراث فريد وزخم، فقد شاركت فيه أمم عديدة وتفاعلت فيه مشارب ثقافية مختلفة، وانصهرت معا وتلاقحت وأفرزت إنتاجا عظيما، وهذا التراث أنجزه مسلمون وغير

مسلمين، فقد أبقى المسلمون على تراث الجاهلية الأدبي، وجعلوه مقدما وأصلا في العربية والأدب، وقبلوا كذلك مشاركة غير المسلمين في إقامة الحضارة الإسلامية وعلومها، وقد كانوا جميعا مخلصين أوفياء لواجبهم الثقافي.

وقد استطاعت العربية بما لها من مكانة دينية وسياسية وخصائص تتمتع بها أن تكون لسانا لكل الأمم التي دخلت في الإسلام وخضعت لسلطان دولته الممتدة في نحو ثلاثة أرباع العالم تقريبا، واستطاعت كذلك أن تفي بمتطلبات كافة الحضارات، فاتخذها الناس لسانا وسارعوا في تعلمها، وأصبحوا علماء فيها، وخلدتهم هذه اللغة في التاريخ فصاروا أعلاما في مجالات مختلفة، وشاركوا مشاركة فعالة في تاريخ هذه الأمة، فكل من عاش تحت سلطانها يعد ابنا من أبنائها وواحد من أبناء ثقافتها مسلمين وغير مسلمين، واستطاعت العربية أن تغزو لغات أخرى، فتسربت إلى ألسنة الناس وصارت لسانا لهم، فتعربت ألسنتهم، وأصبحت لغاتهم الأصلية جزءا من التاريخ الغابر، وليس لها من الحاضر شيء.

وهي الآن تعيش فترة حالكة ومحنة محدقة، وتخوض حربا ضارية في الداخل والخارج، فبعض أبنائها يواجهونها قصدا وعن غير قصد، فبعض الأعراق التى تعربت قديما طفقت اليوم تحى لغاتها القديمة تعصبا لقوميتها أو لعرقها القديم، فالبربر أحيوا لغتهم واتخذوها خطابا، وجعلوا لها رموزا كتابية، والأقباط فى مصر نكثوا على رءوسهم ونفروا من عروبتهم، فجندوا طاقاتهم فى تعليم القبطية فى الكنائس والجمعيات، والدولة مشغولة عن هذا الاتجاه الذى ينزع نزعة عرقية، ليفض وحدة الوطن بالطعن فى لسانه، وهذا تمهيد لتمزيق الوطن.

فالقبطية صارت حربة مصوبة إلى نحر الوطن، ونشرها تمهيد للمطالبة بها لغة رسمية إلى جوار العربية، وكثير من نصارى مصر يأبى أن يتكلم العربية الفصيحة نفورا وليس عن جهل بها، فالعربية مهددة داخليا وخارجيا، واللغات الأجنبية تغتال أرضها، وتنتهك حرمتها بأيادي أبنائها، وباتت غريبة وحيدة شريدة لا تجد راعيا ولا قلبا واعيا، وأصبح العالم بها سخرة وضحكة، يستهزأ به إعلاميا واجتماعيا، وأصبح معلمها جزءا من تراث الجاهلية في أعين أبناء العروبة.

ناهيك عما تلاقيه من غلاة المتعصبين من العلمانيين وبعض رءوس النصارى الذين يلوون ألسنتهم بالعربية حسدا من عند أنفسهم، غير أن بعض نصارى الشام والعراق لهم

جهد محمود فى العربية وتراثها؛ لأنهم يرونها لغتهم الأم فلا يعدلون عنها بغيرها، وهم قليل أمام الغلاة المتعصبين.

والعربية لغة الثقافة والتراث، وهي في نص دستور الدولة لغة رسمية بيد أنها في المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية لغة من الدرجة الثانية، وتقدم عليها اللغات الأجنبية، فالطفل ينشأ على اللغات الأجنبية في المرحلة الأولى التعليمية، ووسائل الإعلام أكثر حفاوة بغيرها من اللغات، ناهيك عن الأسماء الأجنبية التي تعج بها والإعلانات واللافتات، والإشارات التي تكتب باللغات الأجنبية في دولة عربية، ورجال السلطة يبذلون جهود كبيرة لتوحيد الصف العربي، والعربية التي سيوحدون عليها، غابت عن الصفوف الأولى من بين اللغات عامة.

ووسائل الإعلام لديها القدرة على تمكين اللغة العربية من الألسنة وتيسيرها في الخطاب اليومي، وتعد أفضل الوسائل التعليمية في الارتقاء بمستوى لغة التخاطب، وذلك إن التزمت في خطابها اللغة العربية الميسرة وأن تقدمها في ثوب جديد صحيح سهل يناسب مستويات المجتمع.

والعربية ليست عربية جنس أو أب وأم بل عربية اللسان، فمن اتخذها لسانا فهو عربي، وهي ميزة لها دون اللغات عامة، فمن يتحدثون الإنجليزية أو الفرنسية ليسوا إنجليز أو فرنسيين بيد أن كل الأقطار التي دخلها الإسلام وتعربت صارت عربية، فشمال أفريقيا عربي وجنوب شرق أفريقيا عربي وشمال الجزيرة عربي، وكاد أبناء الهند وإيران وتركيا يكونون عربا بيد أن عصبية الجنس والصراع السياسي، ونعرة القومية، وفساد بعض ولاة العرب كانوا أسبابا مباشرة حالت بينهم وبين أن يكونوا عربا.

والعرب يفرون من عربيتهم ويهملونها طلبا للغات الأجنبية متوهمين أنها سبيل التقدم والحضارة، وتركوا ركنا أصيلا فى بناء تلك الحضارة، وهو تأسيس شخصية قوية مستقلة ليست عالة على غيرها أو تابعة، والشخصية العربية هزيلة وغير واضحة المعالم، ولم يسلك العرب مسالك الحضارة، فقد نقلوا عن الغرب نذر انهيار الحضارة، فبدأوا من حيث تنتهى الحضارة، فالرفاهية ورغد العيش ومظاهر الحياة العابثة الغربية أسوأ مظاهر حياة الغرب، وسبب تردى المجتمع وانهياره، والغرب نفسه يلاحق آفاته ليحفظ ما بقى له، والعرب تسربلوا بآفاته واتخذوها قناعا مشوها للتشبه بهم، وهنالك أمم متقدمة أكثر تعصبا لأعرافها

ولغاتها وفيها مشقة عليهم غير أنهم لا يعدلون عنها إلى غيرها بدعوى الحضارة، فاليابانيون يحافظون على أعرافهم ولغتهم ومظاهر حياتهم وهم أمة متقدمة، والألمان كذلك، وهم يعيشون فى محيط يخالفهم ويخشون الذوبان فيه، وإسرائيل ليست عنا ببعيد، فقد أحيت العبرية ووضعت أسسا ومعالم للشخصية اليهودية لتحافظ على الدولة العبرية ومعظم شعبها غربيين ولنا فيها أمثال وعبر ولنا معها أيام انكسرنا فيها، وقلنا: انتصرنا انتصرنا، ويكفى العرب أن يأخذوا بالأسباب التى جعلت إسرائيل قادرة على مواجهتم جميعا حتى انتصرت عليهم فى كل المواقع (إلا معركة رمضان تعادلت فيها مع مصر)، وهى دولة ديمقراطية، تحترم القانون وينتمى شعبها إليها وفيها قيادات وفية، واللغة الرسمية فيها العبرية، والمثير للدهشة أن اللغة العربية لغة ثانية فى إسرائيل !

** ** ** **

التأثير والإقناع

اللغة كيان حي متفاعل يؤثر ويتأثر، والتأثير **Influence**: قدرة اللغة على إحداث أثر مباشر في متكلميها وتفاعلهم معها واستجابتهم للمقاصد التي تعبر عنها، ورد الفعل استجابة مباشرة للتأثر.

واللغة هي الأداة الأولى التي يستخدمها السياسيون في قيادة شعوبهم، فهي السلاح السلمي الذي يستطيعون به توجيه الجماهير لمقاصدهم، ويكبحون بها إرادتهم، ويخوضون بها معاركهم السياسية. وهي أداتهم في تغييب المعارضة، وتهميش دورها في الحياة السياسية.

واللغة ذات مؤثرات دلالية يحققها المعنى الحسن، ومؤثرات لفظية يحققها نظام الصنعة اللفظية، وما تتمتع به الألفاظ من خصائص أسلوبية تزيدها جمالا في تراكيبها السياقية، ومؤثرات صوتية نحو المقاطع المتناسقة والمتوازية والنبر والتنغيم، والإيقاع والوقفات، وهي عناصر صوتية لها أثر كبير في الدلالة، وتؤثر تأثيرا مباشرا في المتلقي، المؤثرات الصوتية يتمتع بها الخطاب المنطوق دون المكتوب، إضافة إلى التعبيرات الجسمية والسياق الخارجي.

وقد كان الخطاب المنطوق مؤثرا في الجماهير التي تتلقاه مباشرا فقط، وتأتي درجة التأثير أقل فيمن يسمعونه من الإذاعة، ويفقد كثيرا من إمكاناته التأثيرية إن دون وتلقاه الجمهور مكتوبا، ولكن وسائل الإعلام المرئية تنقل الخطاب إلى الجماهير دون أن يفقد شيئا من عناصره[1].

ولقد ازداد أثر الخطاب السياسي بفضل انتشار وسائل الإعلام، التي يسرت على المرسل إرسال رسالته إلى عدد كبير من الجماهير، إلى جانب أن الإذاعة المرئية (التلفاز) التي تنقل الخطاب صوتا وصورة معا لجمهور غائب، وهو ما يجعله أكثر تأثيرا من الخطاب المسموع والمقروء، إلى جانب أن الإذاعة والتلفاز أعطا الخطاب المنطوق أهمية كبرى وحافظا على سماته النطقية أو الأدائية، والتلفاز حافظ على الإشارات الحركية ونقلها للمرسل، الأمر الذي جعل الخطاب المنطوق أعظم أثرا وانتشارا من المكتوب؛ لأنه احتفظ بانفعالات المرسل وأدواته الأدائية التي تؤثر في المتلقي وتقنعه وتثيره تجاه الحدث، فيشارك المتلقي وجدانه. ولقد اهتم علماء اللغة بالخطاب المنطوق، وتنبه إليه السياسيون " وقد ألح علماء العرب القدماء

(١) ارجع إلى: لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة ص١٤٠ وما بعدها.

على أهمية المشافهة والسماع، وأن اللغة أصوات مسموعة، قبل أن تكون مكتوبة، وأن الخط تابع اللفظ ومن ثم جاء في كتبهم من التحليلات لظواهر التأدية، ولإبلاغ الكثير من المفاهيم الجديدة[1].

وقد أدرك السياسيون والإعلاميون أثر الخطاب المنطوق في عملية الاتصال، ودوره في عملية الإقناع، وتبليغ القصد، فاستخدموا بعض سماته في خطبهم المكتوبة، ولذا نجد بعض ظواهر الخطاب المنطوق في الخطاب المكتوب، ونجد تداخلا بينهما، فالسياسيون يميلون إلى الأساليب المحكية لا المقروءة، ويقرءون الخطاب المكتوب على طريقة المنطوق، وقد يزيدون عليه أثناء القراءة من منطوقهم بعيدا عن النص، ويستعينون بالحركات والإشارات خلال القراءة، فنجد محاكاة للخطاب المنطوق بنية وأسلوبا وإلقاء، " وما ذلك إلا لجذب (السامع) وإبعاده عن جفاف النص، فيكون إيجابيا عند استماعه إلى الكلام " [2]، والحركات والعناصر الصوتية عوامل إثارة وتنشيط للتلقى.

ولغة المشافهة تفترض وجود معلومات وإدراك مشترك بين المرسل والمتلقي، وهذا الإدراك المشترك يعين على فهم الخطاب؛ لأنها تملك القدرة على التبليغ والإفادة.

فاستخدام اللغة الحية التي يمثلها الخطاب اليومي تؤدي إلى الاستجابة؛ لأنها فاعلة ومؤثرة وتعايش الواقع الحياتي اليومي الذي يعيشه طرفا الاتصال وتعين المتلقي على فهم قصد المرسل، والعامل البصري المتمثل في رؤية الحركات والإشارات، يشارك العامل السمعي اللفظي في تشكيل الفكرة، فالمظهر الخارجي وتعابير الوجه، والإشارات والحركات كلها تسهم في فهم الفكرة ومن ثم تشكل لغة المشافهة بما لها من خصائص أسلوبية وصوتية ونغمية ذخرا كبيرا لكل من يوظفها في خطابه[3] إلى جانب التراكيب الخاصة وطرائق الإلقاء، فهم جميعهم يعكسون طاقة حركية كبيرة توضح الفكرة، وتكملها، كما أنها تنقل للمتلقي صورة المرسل كطريقة التفكير وتسلسل الأفكار زيادة عما فيه من شحنات المشاعر التى تكشف صدقه فى القول، وهذا جميعه يزيد من فاعلية الخطاب وتأثيره على المتلقي، ومن هنا كانت الخطابة المرتجلة ذات تأثير كبير على مشاعر المستمع؛ لأنها تأتي عفوية ممثلة للجوانب

---

(١) ارجع إلى: الإعلام والتأثير والتأثر، مجلة اللسانيات العربية والإعلامية جامعة تونس ١٩٨٩ ص٣٦٧.

(٢) أضواء على الدراسات المعاصرة ص٢٠٤.

(٣) ارجع إلى: علم اللسان، رضوان قضماني. دكتور، بيروت، ١٩٨٤م ص١٢٢.

الصوتية والأسلوبية والنطقية. وهناك مؤثرات تصاحب الخطاب الشفاهي مثل: شخصية المرسل وعلاقته بالمتلقي وموضوع الخطاب، وأسلوب الأداء، والمكان، والحركات الجسدية.

ولهذا وجب على المتكلم أن يعي وعيا تاما أهمية العناصر الصوتية التعبيرية في كلامه، وأسلوب نطقه، فهذه الجوانب تشكل منظومة صوتية نغمية متكاملة لابد أن يتقنها، ويسلم بجميع جوانبها؛ لأنها تؤثر في حواس المستمع ومشاعره، ومزاجه، وإرادته[1].

وهدف السياسة الشمولي الهيمنة السياسية على الجمهور، وفرض سلطانها عليه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، قال شليجر: "إن هدف السياسة الشمولي توجيه حياة المتلقي إلى سلطتها[2].

والخطاب العربي مثل غيره من الخطابات محمل بالكثير من قوة السلطة وتأثيرها، وله السبق في ذلك، ويمثل هذا انعكاسا مباشرا للعلاقة التي تربط السلطة بالجماهير فللسلطة حضور كبير في خطابات المؤسسات السياسية، واللغة هي الأخرى متسلطة، ولها نصيب من السلطة، فمنها سلطة المعنى وأثره في النفس، وسلطة التباعية للمعنى، وسلطة الأسلوب، وسلطة نظام اللغة القواعدي، وهي سلطات تعلو سلطة الدولة فلا يستطيع المتكلم التحلل منها، فكل متكلم يتحمل تبعات اللغة التي يتحدثها، وتعد الأخيرة الأهم من سوابقها.

والسياسيون يتواصلون مع الجماهير باللغة، وهي أهم قنوات الاتصال السياسي، وظهر علم حديث يعرف بالاتصال السياسيPolitical communication، وهو العلم الذي يبحث التفاعل بين طرفي الاتصال من خلال قناة معينة حول قضية معينة.

وتتبين العلاقة بين الاتصال والنظام السياسي من خلال ثلاثة مستويات هي: الفرد، والجماعة، والنظام السياسي للفرد في إطار الإنجازات السياسية على الصعيدين الخارجي والداخلي، ويحرص على إقناعه بقيمة دوره في حياته وأثره فيها، وأهمية ولاء الفرد للنظام ومساندته، ويرغبه في بعض أنماط السلوك السياسي التي يتبناها النظام.

ويقدم نفسه للجماعة في إطار ثقافتها واتجاهاتها، ويبث فيها قيما سياسية يراها صالحة للجماعة، ومصلحته، وبقائه في السلطة، ويتبنى في ذلك نسقا عاما ليحكم أمرها ويستبد

(١) ارجع إلى: علم اللسان، رضون قضماني. دكتور، بيروت، ١٩٨٤م ص١٢٧.
(٢) مدخل لدراسة النص، جولد شليجر ص١٨ – ٢٠.

بقرارها، ويقدم خطابا خاصا للأقليات أو الأعراق التي تعيش داخل الكيان الجماعي، فيتودد إليها في إطار موروثها الخاص وثقافتها وأزماتها.

والمستوى الثالث شمولي يشمل الفرد والجماعة والسلطة، والنظام السياسي يمد شبكاته داخل هذا الكيان ليجد لنفسه سلطة عامة من خلال التوجيه والإقناع، والضغط والهيمنة السياسية، ويجند لذلك جنودا عديدين، من السلطة والجيش، ومؤسسات الدولة، ووسائل الإعلام لسانه في ذلك، وأهم جنده.

واللغة تعكس طرق الحياة الخاصة بكل شعب، ودرجة تقدمه ومستواه الثقافي، وموروثه، وقيمه ومعتقداته، فهي المرآة التي تعكس حقيقة الأمم، وتكشف عن الضمير الإنساني وتعريه للآخرين فيروا منها شخصية المتحدث، فاللغة تعد بمثابة الرموز المشتركة بين المجتمع، ولها أثر كبير في تواصله، وأثر أكبر في توجيهه، والتواصل اللغوي يفترض عمليتين متقابلتين: إحداهما: الترميز **l'ecodage**، ويسير من الأشياء إلى الكلمات، وثانيتهما: فك الرموز **le décodage**، فيعرف ما يخفى وراء الكلمات، فلا يوجد فكر دون لغة، وليست اللغة لباسا للفكر فقط، بل جسد الفكر نفسه[1].

واللغة ملكة إنسانية؛ لأن الإنسان مفكر وليس مجبولا على الفعل، ومن ثم اللغة أهم خصائصه من بين الأحياء، فنسب إليها ونسبت إليه، فالإنسان لديه القدرة على تعلمها، فهي خصيته.

والخطاب السياسي لا يعتني بالفكرة أو المضمون، أكثر من عنايته بالصنعة اللفظية، ومن ثم فالمادة اللفظية قليلة ومباشرة، ولكن دلالتها تتسع لمضامين الأفكار السياسية، والسياسي لا يصنع لغة أدبية هدفها جمال المعنى، ولكنه عنايته بالفكرة التي يقفز إليها من أقرب موضع، ليسبق بها إلى المتلقي.

وقد يضمن السياسي خطابه أساليب الخطاب الأدبي، فيكسوه لفظا جذابا وأداء مميزا، ويطعمه بعض التراكيب الجمالية ويحشوه بعض الاقتباسات، ولكن هذه الأساليب ليست هدفه؛ لأنه لا ينشد مباراة كلامية، بل يتبارى مع خصومه في ساحات ضارية تحتاج لغة

(١) ارجع إلى: بنية اللغة الشعرية. جان كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب ١٩٨٤ ص٣٣.

مباشرة ومعلومات تحملها جمل قصيرة، وأشكال مكثفة وملموسة نابعة من السياق المباشر بين المتكلم والمستمع، والتكرار السريع، فيتمكن المتلقي من فهم المراد، ويستوثق منه المعنى ويعتمد على بعض الخصائص الأسلوبية وأهمها التكرار الذي يعد سمة بارزة في الخطاب السياسي ويعطيه إيقاعا، يزيح عنه الرتابة، ويعطيه وحدة صوتية متناسقة تحفظ استمرار عملية الاتصال، وتجدد التلقي، والخطاب العربي تكراري مبني على التوازي، والتكرارية فيه أقوى وسائل الإقناع. ويعتمد المرسل فيه على اللغة المشتركة الرسمية، ويقدمها في نسق واحد، فالهدف التأثير السريع والإقناع بمضمون الخطاب، فيوظف لغة الخطاب اليومي لتكون قناة مباشرة إلى وجدان الجمهور.وتسهم اللغة إسهاما كبيرا في شرعية النظام السياسي، فهي الأداة التي يتواصل بها النظام مع الجماهير، والقسم المشترك بينهما، وتحمل طابعا سياسيا مميزا عندما تتجاوز لغة الخطاب اليومي والتعبير الرمزي في التواصل بين الأفراد إلى لغة متميزة تعبر عن مضامين سياسية، والسياسيون هم الذين يسيسون اللغة فيكسونها زيا سياسيا باصطلاحات سياسية ودلالات خاصة، ومفردات مولدة، فاللغة السياسية سياسية المضمون والمعلومات والمحيط السياسي[1]. والإقناع **Persuasion** في الخطاب: خضوع المتلقي لمقاصد مضمون الخطاب، وتصديقه بها، أو قبوله مضمون الخطاب، وتسليمه له، وهدف الخطاب السياسي الحديث - في المقام الأول - الإقناع، ولهذا تأتي لغته واضحة أقرب إلى الخطاب اليومي الذي يستخدمه المثقف العادي، وليست هدفا للدلالات المجازية أو الصور البلاغية المعقدة، وقد تأتي في بعض الأحيان مخالفة لقواعد اللغة تحت تأثير الخطاب اليومي واللغات الأخرى، فالخطاب السياسي يقفز إلى الفكرة مباشرة فليس للصور والوجوه البلاغية حضور فيه إلا قليلا، ويرجع سبب ذلك إلى أن الخطاب يكلف بالفكرة والإقناع دون الجانب الإمتاعي الذي يكلف بالدلالات والجماليات[2].

(١) ارجع إلى: اللغة العربية في وسائل الإعلام، إعداد مجموعة من المشاركين في مؤتمر علم اللغة الأول، كلية دار العلوم، قسم علم اللغة، بحث قوة الوصف في دراسة لغة الاتصال السياسي ورموزه، الدكتور أحمد بن راشد بن سعيد ص٥.

(٢) أعد الصديق المورتاني الدكتور الشيخ أحمد ولد سيدي بحثا قيما بعنوان: تحليل الخطاب السياسي (دراسة إتنوغرافية اتصالية في الخطاب السياسي المورتاني، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات اللغوية والأدبية، نوفمبر ١٩٩٨م، وتوصل فيه إلى نتائج قيمة، وهو من الدراسات الفريدة في هذا النوع من الدراسات الحديثة. وارجع إلى كتابنا لغة الخطاب السياسى.

والخطاب السياسي الحديث ليس فيه مؤثرات بلاغية كالتي يتمتع بها الخطباء السياسيون في خلافة الإسلام، ويرجع ذلك لأسباب منها: اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية، والوعي الثقافي واختلاف لغة الخطاب واختلاف مستوى إدراك المرسل والمتلقي للغة، وكذلك اختلاف العصر وآلياته. فوسيلة الإقناع الأكثر فاعلية قديما هي التأثير الخطابي في المتلقي، فإذا نجح المتحدث في إقناع الجمهور خطابيا عن طريق إثارة العواطف والانفعالات، فقد حقق إنجازا إقناعيا، ولكن ظروف المتلقي تجعله أكثر واقعية من سابقه؛ لأنه يستحضر دائما أمامه البدائل العقلية، واللغة تؤدي دورها في السياسة، مثلها مثل جميع الأدوات التي يستخدمها السياسيون، فاللغة كما قال ابن جني (ت ٣٩٢هـ) " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [١] والسياسيون يستخدمونها أداة لتسييس الشعوب وفق إرادتهم، ونزعاتهم، كما أنها تعبر عن الأفكار والمشاعر والاتجاهات كما يقول دي سوسير اللغة " نظام من الإشارات system of signs التي تعبر عن الأفكار " [٢]، وتمثل ظاهرة اجتماعية، فاللغة أداة الاتصال بين أفراد المجتمع قال سابير: " اللغة وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان، وغير غريزية فيه تمكنه من تبادل الأفكار والوجدانات والرغائب بوساطة رموز صوتية اصطلاحية " [٣].

فالإنسان ليس مجبولا على اللغة بل يتعلمها من المحيط، فهي ليست سليقة كما زعم القدماء الذين رأوا أن الفصاحة طبع أو سليقة في العرب الأقحاح، بيد أن الفصاحة يكتسبها الإنسان من محيط لغوي فصيح. إن من أبرز الوظائف اللغوية وظيفتها في الاتصال والإبلاغ والإقناع والتعبير عن الذات، ومن ثم وظفها السياسيون قديما وحديثا لتحقيق مقاصدهم.

ويرى بعض العلماء أن وظيفة اللغة الأساسية هي وظيفة إعلامية، وقد زاد من وظيفتها، اختراع الكتابة والطباعة، والمذياع والتلفاز، وهو ما أحدث ثورة إعلامية أدت إلى نمو الاتصال[٤]. وقد استفاد السياسيون من تلك المخترعات في توجيه الخطاب السياسي، وزادوا من عنايتهم باللغة أداة تأثير في المستقبلين، وإقناعهم بالإيمان بمبدأ، أو تغيير

(١) ت (٣٩١)، الخصائص: ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار، بيروت ط٢، ٣٣/١.
(٢) علم اللغة العام: ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دي سوسير : فردينان، بغداد ١٩٨٥م، ص٢٧.
(٣) اللسان والإنسان: حسن ظاظا، دكتور، ط١٩٧١م مصر ص٢٨، ٢٩.
(٤) مقال اللسانيات والإعلام والتأثير والتأثر: دكتور هادي نهر، مجلة اللسانيات العربية والإعلامية، جامعة تونس ١٩٨٩ ص٤٥٤.

سلوكهم[1]. ولغة الخطاب لغة توجيه وإقناع، وتحتوي على أدوات خطابية مؤثرة، لكنها لا تحتوي على تراكيب مجازية بقدر ما تعني الفكرة صراحة، فقد يستعين المرسل بمؤثرات بلاغية مثل التكرار والتضاد، والترادف، والوصف، لكنه لا يبالغ في التراكيب المجازية، فالغاية من خطابه الاتصال والتبليغ، ويستعين أثناء الإرسال بأدوات تثير المستقبل وتقنعه وتثيره. ويعد الخطاب اليومي هو أحد أدوات رجال السياسة في مخاطبة شعوبهم، خاصة خطاب الثورة، حيث نجد الخطاب الناصري والساداتي كليهما يطعم اللغة الفصحى بمفردات وتراكيب يستخدمها الخطاب اليومي، لما له من فاعلية مؤثرة على الشعب، وما يتضمنه من حيوية، كما أنه يعطي إحساسا للمتلقي بالانتماء والولاء والدفء، فالخطاب المستخدم هو خطاب الشعب.

ولا يجد المتلقي صعوبة في فهم قصد المرسل، وما رغب في توصيله؛ لأنه يملك الأدوات التي تعينه على فهم خطاب المرسل وفك شفرته، فالخطاب اليومي سهل الفهم لدى السامع. ويحتوي الخطاب السياسي على مفردات وتعابير تعطيه حسا جماليا، ودلالة واسعة عن أصل معناها اللغوي، فنجد مفردات سيارة في الخطاب، مثل: العدل، الشورى، السلام، وغيرها من المفردات التي توحي بالثقة والأمان، ونجد تراكيب تؤدي نفس الدلالة مثل " حكمة العدل الدولية ، " هيئة الشعوب للسلام "، " العدالة الاجتماعية "، هيئة الإغاثة، هيئة حقوق الإنسان.

وقد يعدل المرسل عن الاسم الصريح بمفردات أعمق دلالة وأثرا في نفس السامع مثل " الوطن العربي " و " الأمة العربية " وقد يكون للوطن دلالة ضيقة تعني القطر مثل " مصر " و " الأمة " قد تعني أبناء الوطن، مثلما جاء في خطاب التنازل عن العرش للملك فاروق " وحرصا على أمتنا " يعني مصر، وهى فى الخطاب القومى تعنى العرب جميعهم، وتعنى فى الخطاب الدينى جميع المسلمين ومن فى ذمتهم من أهل الكتاب.

والمتلقي لا يجد صعوبة في فهم تلك المفردات أو التراكيب، لأنها جميعا متداولة، وإن كان فيها مفردات ذات دلالة جديدة، فإن وسائل الإعلام تلوكها استخداما حتى تجعلها مألوفة للمتلقي وتقرب دلالتها. وتصبح بذلك مفردات الخطاب السياسي مألوفة تداوليا وذات دلالة لدى أوساط الشعب متعددة المشارب والثقافة.

---

(١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، دكتور، الكويت ١٩٧٨.

ويستعين السياسي في لغته ببعض الأساليب البلاغية، ويختار مستوى معينا من مستوياتها، يراه صالحا لجمهور محدد، والهدف إقناعه ببعض البرامج السياسية، ولا يتعامل مع البلاغة على أنها فن بلاغي بل يعدها جزء من نظام اللغة التي يوظفها في الخطاب، فليست هدفا في الخطاب بل وسيلة للمواءمة بين الموضوع والشكل أو بين المضمون والتعبير، فالغاية من الخطاب الإقناع، وهو الهدف الرئيس، وتحدد لغة الخطاب السلطي من خلال العلاقة القائمة بين المرسل والمستمعين، ويتأثر اللغة والمضمون بهذه العلاقة.

ويختار رجل السلطة الكلمات والتعابير والجمل، ويجعل للجماهير حضورا في خطابه بهذه الأدوات اللغوية، ويستعين بأساليب تحافظ على استمرار عملية التلقي، وتجعل المتلقي حاضر الذهن، وسريع الاستجابة، ويستعين بموروث ثقافي، ومعلومات عسكرية، واجتماعية، وسياسية، ويعزز بذلك خطابه ويغنيه بالمضامين والدلالات الجديدة، وتؤثر شخصية رجل السياسة هي الأخرى في الجمهور، وتؤثر كذلك مواقفه السياسية، وانتمائه الوطني، ودوره الدولي، وهذه العوامل مجتمعه تجعله شخصية مؤثرة (ميكانزمية أو ذات كارزما).

وللسياق دور كبير في عملية الإقناع، فالمرسل يوظف كلماته في سياقها الذي يناسبها، وسياقها الخارجي أيضا، وذلك من خلال الموقف الاجتماعي الذي يجمع المرسل بمتلقيه، والعناصر الخارجية التي يوظفها المرسل في الخطاب، ونوع الخطاب مكتوبا أو منطوقا.

وهذا كله يتطلب شكلا لغويا مألوفا وبسيطا ومتماسكا ومركزا أو مكثفا **Compact**، وأن لا يكون الخطاب رسميا متكلفا جامدا، فالخطابات التي تتمتع بأساليب بلاغية وتراكيب حية تزيد تفاعل الجماهير ومشاركتها في الاتصال، وتحقق رد فعل عال.

وتحتاج عملية الإقناع أيضا إلى أن يكون الخطاب منطقيا متسلسلا ومرتبا، وموضوعيا، ويتمتع بوضوح الفكرة وقرب المعنى ورصانة الحجة وترابط الشكل واتساقه مع المضمون، وملاءمته العالم الخارجي واتصاله به.

وذهبت بعض المدارس الحديثة إلى أن وظيفة اللغة الأساسية الإقناع، والإغراء والإعجاب والتلاعب والتبرير ويتبع المتكلم في ذلك تقنيات أسلوبية[1].

(١) ارجع إلى: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد، عالم الفكر ٢٠٠٠/٣٨م ص٥٣.

وللإقناع ملامح رئيسة في الخطاب؛ وهي: أن يتوجه إلى مستمع، وأن يستخدم المرسل لغة خطاب المتلقي أو اللغة المشتركة، وتعد لغة الخطاب اليومي الذي يستخدمه الجمهور لغة الإفهام والتأثير والإقناع.

وأن يبدأ بمقدمات مقبولة وينتهي بنتائج حتمية مقبولة وتكون نتيجة مباشرة، وأن يكون الموضوع أو المضمون موضع اهتمام الجمهور أو القضية أو الهدف، وأن يكون هدفا رئيسا للمرسل، وأن يكون مؤمنا به ملما بأبعاده، وأن يكون ملما بطبيعة الجمهور وعليما بمشاربه وخبيرا بالمؤثرات التواصلية معه، وأن يكون واعيا بحال الجمهور ومقتضى إفهامه والتأثير فيه، وأن يستعين بالعناصر التي تحافظ على استمرار التواصل والتلقي نحو العناصر اللغوية المؤثرة، والتعبيرات الصوتية، والحركات البدنية، وأن يختار توقيتا مناسبا للخطاب، وقناة تتناسق مع الموقف.

وقد عالج علماء العربية أسلوب التواصل مع مستويات المتلقين، وجعلوا لذلك أنساقا من التواصل تربط بين تقويم الخطاب Evaluation والعناصر التأثيرية التي يصبغ بها المرسل خطابه ليوافق حال المتلقي، ويعتد في ذلك بدرجة قبوله مضمون الخطاب، وذلك في إطار موقفه من تلقي الخطاب، وقسموا على هذا أنماط المتلقين إلى:

- متلق منكر لمضمون الخطاب، ويحتاج المرسل في إقناعه إلى وسائل قوية مؤثرة، يعتمد فيها على البراهين والحجج. ويوظف فيها عناصر بلاغية متعددة في خطابه.

- متلق متردد، ويحتاج إلى جهد أقل من سابقه (المنكر)، ويقدم إليه المرسل مضامين تزيده ثقة، وتعطيه أمانا، ويستخدم معه أساليب هادئة، تعززها بعض الشواهد المثالية، والأنساق الاجتماعية التي يستأنس بها.

- متلق خالي الذهن، وهذا النوع يحتاج معلومات منظمة، وأساليب
موجهة لتوعيته والسيطرة عليه، ليصبح تابعا لسلطة الخطاب.

- متلق تابع، وهو الذي يخضع لأيدلوجية الخطاب، ويقدم إليه الخطاب مضامين جديدة تجدد ولاءه وتقوي صلته بالخطاب، ويشعر المرسل بأنه جزء من الخطاب ومحور قضيته، فيقدم إليه خطابا شموليا يجسد منظومة السلطة والموالين لها[1].

(١) ارجع إلى: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، الدكتور محمد العبد، دار الفكر العربي ص٤١.

ويعد الاتصال بالجماهير علم اجتماعي جديد معقد يوجه صوب جمهور كبير نسبيا غير متماثل، مختلف المشارب، متعدد الثقافة والميول، وقد يزداد الأمر مشقة على المرسل عندما يخاطب جمهورا خارجيا يتعدى حدود الوطن يحتاج إلى أدوات إقناعية تناسبه، وهذا يلزم على المرسل أن يوائم بين خطابه ومن يوجه إليهم، وأن يحتوي الخطاب على مضامين موجهة إلى المتلقي[١].

ومثال ذلك خطاب السادات في الكنيست الإسرائيلي، الذي استخدم فيه أدوات معرفية مثل التاريخ والدين حيث استشهد بنصوص من القرآن الكريم، والكتاب المقدس (العهد القديم، والعهد الجديد)، ثم خاطب ضمير العالم، وطلب شهادته، ثم خاطب ضحايا الحروب ومحبي السلام، إلى جانب المفردات التي دار محتواها حول رغبته الأكيدة في السلام أمام العالم، ودعم خطابه بموقفه الشخصي، وأبدى للمتلقى ثقة عالية، واعتد بذاته وبموقفه، وتحدث عن قوة وثقة.

إن بث الرسالة يتطلب من المتكلم أن يعي ظروف الاستقبال لدى المتلقي وعليه أن يلتمس المؤثرات الخطابية فيه ومعتقداته، وأن يفهم سلوكه الذي يعبر عن تأثره بفعاليات الكلام أو عدم استجابته، فيلجأ المتكلم إلى أدوات أخرى علها تجد طريقا إلى استجابة المتلقي[٢]. فالمرسل في الخطاب المباشر يمكنه ملاحظة رد فعل الجمهور، فيعدل من الخطاب ويضيف إليه، ويتوقف عند بعض المواضع، ويسرع في أخرى، وينوع في طبقة الصوت وسرعة الأداء، ويستعين بالنبر والتنغيم ليؤثر في الجماهير، ويلهب حماسهم، ويستبد بمشاعرهم، ويراقب حاله خلال الأداء.

ويستعين ببعض الحركات وتعبيرات الوجه في الخطاب المقروء في التلفاز، ويستعين كذلك ببعض خصائص الخطاب المنطوق ويوظفها، ليجعله خطابا منطوقا مؤثرا، ولكنه يقدم المعنى كاملا باللفظ في الخطاب المكتوب؛ لأنه يفتقد إلى العناصر الدلالية التي يستعين بها المتكلم من خارج اللغة، فالكاتب يضمن الخطاب كل المعاني، ويشرح ويصف، ويعقب ويكرر الجملة بلفظها أو يكرر معناها، ويتخير اللغة والمؤثرات اللفظية، ويستحضر الجمهور

---

(١) ارجع إلى: اللسانيات والإعلام، التأثير والتأثر: مجلة اللسانيات العربية والإعلامية ص٣٥٥.

Haya Kawas. I. Language in thought. Povanech Inc. New York 1963. P. 7.

(٢) ارجع إلى: علم الدلالة السلوكي ص٩١، والتأثير والتأثر، اللسانيات العربية والإعلامية ص٣٧.

في إنتاج النص، ويتوقع رد فعله، ويتحسس مواطن القوة فيه، فيؤديها على وجهها، ومواضع اللين فيتطلف فيها مراعيا سياق الموقف في أدائه. وقد وضع علماء العربية قواعد عامة في الاتصال، وأشهرها مراعاة مقتضى الحال، وتعني في المقام الأول حال الجمهور المتلقي، وقد أكدت ذلك المدارس الغربية الحديثة، فالمرسل مطالب بأن يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية ، والمذهبية واللغوية، فاللغة المشتركة تفتح طريقا مباشرا إلى الفهم السريع والتفاعل المباشر.

وحضور المرسل في الخطاب يعمق وجوده وشخصيته عند المتلقي، وذلك عن طريق لغته الخاصة وفكره وشخصيته المستقلة، والصفات السياسية التي يتمتع بها وحضوره داخليا وخارجيا، وهذه الشخصية تتجلى واضحة في اختياره المفردات والتعابير والجمل والموضوعات، فهي تعكس حجم شخصيته وقوة تأثيره وإقناعه.

وللاقتناع " conviction " بالمرسل وموضعه أهمية كبرى في الخطاب، وهذا الاقتناع يقوم على دوافع نفسية، وهي الحالة التي يعيشها الجمهور، والمرسل يقوم بتعبئته نفسيا وتهيئته لاستقبال خطابه الذي يمس ظروف الجماهير مباشرة ويشاركهم حياتهم ويخالطهم.

وللاقتناع دوافع منطقية عمادها الظروف التي أنتج فيها الخطاب وعلاقته بها، فالمتكلم يشحذ الهمم، ويحمس الشعب ويرفع درجة استعداده، ويدعو إلى تعبئة عامة عندما يهدد أمن البلاد خطر عسكري، وموضوع هذا الخطاب يتضمن أفكارا حربية خلافا لموضوعات التنمية والإصلاح التي لا تقال في ظروف الحرب ولا تتسق معها.

ووضوح الخطاب من أسباب الاقتناع به وسرعة الاستجابة إليه فالخطاب الذي يخلو من الغموض والتعمية والاضطراب وغرابة اللفظ، وتعقيد التراكيب ينفذ إلى عقل المتلقي سريعا دون عائق يؤثر في هدفه، فالجمهور ينشغل بالنصوص المضطربة وإعادة إصلاحها عن فهم الخطاب، فاجتناب كل ما يصرف المتلقي عن فكره الخطاب سبب رئيس في تحقيق مقاصده.

إن الإقناع persuasion يعتمد على دراسة طبيعة المتلقي، وأفضل وسائل الاتصال به، وانسجامها الإيجابي معه، فالمرسل يؤطر الخطاب، ويجعله ملائما لجمهوره، وتتوقف درجة الاقتناع به على قدرة استيعاب مدارك الجمهور، واستمرار عملية الاتصال، ورد الفعل الذي يعكس درجة الاستجابة، والاستعانة بالصوت والصورة والحركة والمكان والزمن، والرموز في الاستدلال يعد أساسا في الإقناع، وتأكيدا لصدقه.

والاتصال المباشر والتفاعل مع العالم الخارجي، والجمهور والمواجهة مع الجمهور مما يزيد فعالية التأثير، وهذا النوع من الاتصال يستفيد من كل عناصره التواصلية والتأثير التي تتعرض للتدمير أحيانا في الاتصال غير المباشر، فالمتلقي المباشر يستقبل الخطاب بأذنيه وعينيه ووجدانه، ويؤثر فيه المحيط الخارجي مباشرة، ويتمكن من معرفة أبعاد الاتصال؛ لأنه يوظف له كافة حواس الاستقبال، وحضور الجمهور حافز آخر كالمرسل، يمنحه طاقة في الأداء، ويلهمه فكرة جديدة، ويعطيه صورة دقيقة لأثر خطابه، فيزيد فيه ويعدل منه وفقا لمقتضى حال الجمهور.

ورد الفعل مؤشر على درجة الاستجابة، فالتفاعل مع الخطاب يحقق حالة نفسية قد يكون دافعها الحماس l'enthousiame، الذي يكون نتيجة مباشرة لتفاعله مع الخطاب، أو دافعه الغضب مما تتضمنه الخطاب أو الإثارة، فهذه مشاعر مباشرة عبرت عن رد فعل الجمهور المباشر نحو الخطاب، ويمثل رد الفعل النتيجة النهائية في الاتصال، فيستكشف المرسل منه درجة الفهم والتأثير والاقتناع سلبا أو إيجابا.

** ** ** **

وسائل الإقناع

في الخطاب العربي

الخطاب العربي ما يصدر عن الفكر العربي من إنتاج موجه، ونعني بالخطاب السياسي العربي منتجات الفكر العربي في حقل السياسة، وهذا الخطاب يعني مجموعة النصوص التي تحمل مضمون الفكر العربي، ويرى المهتمين بالسياسة أن الخطاب " مجموعة من النصوص ".

والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ في شكل خطاب، فالاتصال بين الكاتب والقارئ يتم عبر النص، وهو نوع من التواصل بين المتكلم والسامع.

والنص كلمات فى نظام لغوى ثابت، ويساهم السامع في تحقيق هذا الاتصال الكلامي، ويساهم القارئ كذلك في تحقيق هذا الاتصال الكلامي عبر " النص "، والكاتب يريد أن يقدم فكرة أو وجهة نظر معينة في موضوع معين، وهذا خطاب، والقارئ يتلقى هذه الفكرة فيستخلصها من النص وبالطريقة التي يختارها، وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له، فالخطاب له جانبان: ما يقوله الكاتب أو منشئ الخطاب، وما يفهمه المتلقي من الخطاب.

والخطاب في ضمير المرسل بناء من الأفكار يحمل شخصية صاحبه وأفكاره، ويحقق مقاصده، والخطاب عند المتلقي يعد موضوعا لعملية إعادة البناء أي نصا للقراءة، فيتعرض للتفكيك أو التحليل التفسيري، أو للفهم أو التفسير وللأخير وجهان: تفسير مباشر: يقوم به المتلقي تجاه الخطاب دون أن يتدخل في الخطاب، ويحاول أن يخضع نفسه للخطـــاب،

فالمتلقي يعايش الخطاب ليفهمه، ويفسره في ضوء مكوناته الخطابية[1].

وتفسير غير مباشر: ويعتمد على بحث المعاني العميقة وراء الكلمات، ويحاول المتلقي استبطان النص وتفسيره في ضوء معطياته الرمزية والتأويلية، ويصل من هذا التأويل إلى بناء نص جديد، أكثر عمقا وأغزر دلالة، وهي مرحلة لا تتوقف عند حدود المتلقي المباشر بل تحاول أن تساهم بوعي في إنتاج وجهة نظر يحتملها الخطاب، فلا تقف عند السطح، بل تحاول إعادة بناء الخطاب، أكثر تماسكا وأقوى تعبيرا من ذي قبل، والكاتب يهدف إلى معرفة مضمون الخطاب الأيدلوجي ومحتواه المعرفي، وأثر ذلك في بناء الخطاب، ومعرفة الاتجاهات

(١) ارجع إلى: الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، الدكتور محمد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية ط١٩٩٢/٤م، ص١٠.

الأيدلوجية التي تتقاسم الخطاب، فنحاول أن ندرسها في إطار بنية فكرية واحدة، وأن نكشف عما في الخطاب من آليات إقناعية، وعناصر اتصالية مؤثرة، ومضامين[1].

ويعتمد الإقناع في الخطاب العربي على العنصر الجمالي، أو بلاغة الأسلوب[2]، ويبرهن على صدقه بحجج لفظية رصينة، ولكنه غير مقنع عمليا، فالأفعال فيه كلامية مسوفة: سوف نهزم العدو، سنقاتل، سنبني وطننا، والعدو مازال قائما بيننا، وليس هنالك استعداد للحرب، وليست هنالك معادلة في القوة، ومازال الوطن فقيرا بدائيا يقتات من موائد الحضارة الأوربية.

واللغة المستخدمة لا تتسق مع الواقع، فخطاب السلطة يستخدم لغة القوى العالمية نحو: سندمر الاستعمار، وسنغرق دولة كذا في البحر ومن وراءها، ويستخدم لغة التعالي، وتقديس الذات، والأنا العليا وألقابا توحي بالغطرسة نحو: الزعيم، القائد المعظم، صاحب الجلالة، صاحب السمو ....، ويجعل من دولة صغرى مجهولة قوة عظمى، ويصف نفسه بأنه المخلص، وتفوح من خطابه نعرة قبلية.

وقد يستعين رجل السلطة ببعض المفردات المثالية التي ترفعه من رجل السلطة إلى درجة مخلص ملهم يعرف كل شيء، ولا يباريه آخر في موضعه، وأنه وهب نفسه لخلاص الشعب، وأنه سيموت من أجلهم، وأنه سيحرم نفسه ويعطيهم، ويهب حياته وعطاءه لهم، وأنه خلق وكلف بهم، وغايته سعادتهم وخلاصهم، والحديث عن صاحب السلطة يشبه الحديث عن الذات الإلهية، فيتبين المقصد منه بذكر اسم رجل السلطة، ولا تستطيع التفريق بينهما في خطاب السلطة إلا بقرينة لفظية أو سياقية! وشخصية رجل السلطة في الخطاب تمثل أسطورة البطل الشعبي الذي يخوض غمار الموت من أجل الفقراء والعامة وقضاياهم، والمتلقي العربي تعجبه تلك الشخصية، وتقنعه بمغامراتها، وخططها الانتحارية التي ترهب المتسلطين والظالمين، وهذه الشخصية تعد إسقاطا وصوتا ثائرا يمثل الضعفاء والمقهورين، ورجل السلطة العربي يجعل نفسه بطلا شعبيا ثائرا يواجه الأقوياء والظالمين ويستنقذ من أيديهم ضحاياهم من الشعوب الفقيرة.

---

(١) ارجع إلى: الخطاب العربي المعاصر ص١١ – ١٦.

(٢) اختار أستاذنا الدكتور محمد العبد بعض البحوث التي تناولت الإقناع، وجمعها في كتاب صغير الحجم عظيم النفع بعنوان: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، توزيع دار الفكر العربي، ط١٤١٩/١، ١٩٩٩م.

وكانت شخصية الرئيس عبد الناصر تمثل بطلا شعبيا موهوبا مغامرا لديه القدرة على تحدي الدول الكبرى، والاجتراء عليها وتهديدها، فقد كان مندفعا في هذا الاتجاه بما يراه من شعبية جماهيرية في العالم العربي تهتف باسمه وتصفق لقراراته وتبارك أفعاله، وتتغنى بخطبه، وأصبحت له شخصية أسطورية تحمل لواء الضعفاء وتندد بالدول الانتهازية المتسلطة، وهي الشخصية التي استطاع بشعبتيها الواسعة في العالم العربي تهديد بعض الدول الاستعمارية، وقد تأذت بعض الدول من خطاباته ومواقفه السياسية، واستفادت دول أخرى من اندفاعاته الثورية وخطاباته التي امتلأت حروبا ووعيدا وتهديدا، فالتزمت الصمت، ووظفت هذه الخطابات الانفعالية في حملة دعائية ضده توحي بأنه خطر على الأمن الغربي، وأنه حليف للمعسكر الشيوعي يجب القضاء عليه، ووجهت له ضربة قاسمة تحت مظلة إسرائيل، فلم يجد مؤيدا أو باكيا ينصف حقه، أو يتخذ قرارا حاسما ضد إسرائيل، وأقنعت إسرائيل الغرب بأهمية وجودها، فدعمها من أجل ردع العدوان العربي، وما يمثله من خطر على أوربا، وأصبحت بمنزلة قاعدة عسكرية تنطلق منها الحملات لتأديب العرب، وإحكام الهيمنة عليهم، وأصبح وجود إسرائيل مبررا لردع الغارات التي تهب من بادية العرب على حضارة أوربا المتألقة !

ومازالت بعض الخطابات السلطية تتحدث عن البطل الشعبي ومغامراته التي ستدمر وتقتل، وتلقي بإسرائيل في البحر، وتؤدب أمريكا وحلفاءها، ولهذا فالخطابات شعبية واسعة في العالم العربي الذي ينتظر مهديا مخلصا يقوده ويحقق آماله، ويعد تلك الخطابات جزءا من أمانيه، ومازال بعض العرب يقف على أطلال هذا البطل يبكيها، وينتظر خروجه من السرداب، فيقاتلون معه إسرائيل ومن وراء إسرائيل، ويـــرون أن أي

حرب لا يقودها ليست جهادا شرعيا، وأن انتصارها زائفا.

وبعض الجماهير لا ترى بديلا لهذا الخطاب، فرجال السلطة الهادئون الذين يصرحون بكلمات قليلة ولا يعقبون على بعض الأحداث، ولا يبدون موقفا من الأزمات الدولية وخطط الدول الكبرى هم في نظر هؤلاء ضعفاء وسلبيون وتابعون، ويريدون زعيما يتوعد إسرائيل بالموت، ويسبها في كل خطاب، ويعاقب أمريكا وحلفاءها ويعلن رأيه فيهم، ويتخذ موقفا من كل الدول التي تخالفه، ويضمن خطابه حروبا وعداوة، فيصبح رجلا مقنعا وزعيما خالدا، ويظنون أن الزمان هو الزمان، والناس هم الناس !

والجماهير العربية فقيرة سياسيا وليس لديها نضجا وافيا تقيم به توازنا بين الواقع وبين مضامين الخطابات التي تقدمها السلطة، وليست لديها القدرة النقدية الواعية التي تستطيع بها فهم هذه الخطاب وتقييمها في ضوء المعطيات والإنجازات، إنها تفهم الخطابات في ضوء بنيتها النصية على نحو ما تفهم به النصوص الأدبية التي تبحث فيها عن حسن الصنعة وجمال المعنى وبلاغة الأسلوب، إنها تفسر النصوص السياسية في ضوء معايير التحليل الأدبي، فتمدح الخطاب لجمال الأسلوب، واللفظ، وقيمة الموضوع، فالخطاب العربي يهبك لذة نصيبه ونكسة سياسية، ليحدث توزنا ومفارقة بين القول ونتيجة الحدث، لتجد في الآلام متعة وفي الموت راحة ! بيد أنها لا تقدم تفسيرا واقعيا للخطاب، فلا تبحث عن صلته بالواقع السياسي، فالخطاب السياسي إقناعي من الناحية النصية، ولكنه مفرغ من قيمته الواقعية، وليست له قدرة إنجازية، ولا يتسق مع القيم الحقيقية، والسياسة ليست بمتعة فنية أو لذة يستمتع بها المتلقي من خطاب أدبي يتمتع ببنية عالية الصنعة، وحسنة السبك وجميلة المعنى بل خطاب إنجازي مضموني ينشد الحقيقة من الواقع، فلا يعبأ بقيم الأدب بقدر عنايته بالأهداف السياسية التي تمثل هدفه الرئيس، ومعايير النقد فيه لا تقوم على أسس أدبية بل سياسية بحته، فالسياسي يهتم ببنية الخطاب بل يهتم بما يقدمه الخطاب من أفكار سياسية، وما يبتغيه من مقاصد، وما حققه من إنجازات، فهم أساس النقد، ومقصد البحث، ووجه الإقناع الحقيقي.

إن الخطاب العربي السياسي يحتاج إلى آليات المنهج العلمي، التي تهمل اللغة الأدبية الفضفاضة، التي تقوم على الإثارة والتشويق والمبالغة، وتعتمد على لغة تتسق مع واقع القضية أو التجربة أو لغة تتناول الموضوع مباشرة، وتجرد هذه اللغة من زمن المستقبل وزمن الماضي، وتقوم في جوهرها على زمن الحاضر، فالموضوع أو القضية قائمة خارج النص في العالم الخارجي، والمفردات تعبر عنها وتصفها وصفا دقيقا ليس فيه مزايدة، ولا تتناول ما لم يكن أو ما سيكون أو ما كان، وعليها أن تتوصل في النهاية إلى نتيجة لا تحمل المجاز، فالخطاب لا يقصد به الإمتاع أو اللذة بل يقصد به الإنجاز العملي، أو عين الأمر الذي يتناوله.

وخطاب السلطة المعاصر لا يهدف إلى حقيقة قائمة بل أثر وجداني يخدر الجماهير ويغيب وعيهم، ويستقطبهم إليه، ويعتمد في ذلك على ميراث خطابي يبدأ تاريخه من العصر

الجاهلي حتى لحظة إنتاج الخطاب، وتوظف فيه العناصر المتاحة من الخطاب الأدبي، مثل: التكرار والسجع، والازدواج، وحسن التقسيم، والإيقاع للتكرار نوعان في الخطاب: تكرار بنائي وتكرار معنوي، فالتكرار البنائي يقع في اللفظ نفسه، ويترتب عليه إيقاعا صوتيا يؤثر في النفس، ويحدث في الخطاب حركة وتفاعلا، واللغة العربية بها محسنات غنية الدلالة في سياقاتها المختلفة وأنماطها المتعددة، ولهذا الإيقاع البنائي أنماط عديدة تناولتها كتب البلاغة ووظفها الكتاب والشعراء في إنتاجهم الأدبي، والخطاب السياسي لا يوظف منها إلا القليل؛ لأنه لا يهدف إلى بناء نصي أدبي محكم بل ينشد هدفا سياسيا عمليا يتضمنه موضوع الخطاب، ويوظف له إمكانات لغوية بسيطة ومتناولة ومألوفة في الخطاب اليومي.

ورجال السلطة لا يعتمدون على النص المكتوب، فليست لديهم المواهب الشخصية، ولا تتاح لهم ظروف الخطاب المكتوب كالتهيؤ النفسى، والوقت الذى تكتمل فيه الفكرة، فتصبح لديه القدرة على إنتاج الخطاب، والإلمام بالموضوع، وإنما يعتمد على خطاب معد إعدادا جماعيا من لدن متخصصين طرحت عليهم مضامين الخطاب، فترجموها لغة، ويوظفها رجل السلطة توظيفا عمليا، فيدعي الارتجال أحيانا، ويراجع النص أحيانا، ويقرأ أحيانا، ويضيف إليه ما عرض لذهنه أو ما استحضره الموقف، فيعتقد الجمهور أنه صاحب الخطاب، وصاحب الظروف التي تدخلت في صنعه وشكلت مضمونه، فليس الخطاب وجدانيا ولا ذاتيا، وليس تعبيرا حقيقيا وإن شئت الدقة فقل: إنه خطاب مصنوع يدعي الصدق والحقيقة. والتكرار في الخطاب تكرار جذر لغوي أو بنية صرفية أو تركيب، فالأول نحو: بنينا أبنية جديدة على أحدث طرز البناء، وسنجعل هذه المباني لبناة هذا الوطن. والثاني نحو: سنقاتل سنقاتل، وندمر وندمر، فالجهاد الجهاد، والعمل العمل، ويقع التكرار في الأبنية دون الجذر نحو: يقاتل ... يحارب، يجاهد. والثالث نحو: سنبني الوطن، سنبني الوطن، وهذه الأنماط التكرارية تفيد التأكيد، والتكرار المعنوي يقع في المعاني أو في المضمون نحو المترادف: سنقاتل وسنحارب، وسنجاهد. والتضحية والفداء، والإقناع والتصديق والحجة والدليل.

والألفاظ التي تشترك في حقل واحد نحو: الحرب، القتال، التدمير، التخريب، الهجوم، الضرب. والألفاظ التي تشترك في معنى عام نحو: الرأى والفكر والوعي، والمدارس والمعاهد، والمصاحبات اللفظية: ليل نهار، وشرقا وغربا، وبحرا وجوا. وهذه الأنماط التكرارية بنوعيها - اللفظي والمعنوى. تسهم إسهاما كبيرا في تأكيد مضمون الخطاب، وتصعد قوة التأثير،

وتزيد المعنى وضوحا، وتمنح الخطاب إيقاعا يؤثر في المتلقي، فيدفع عنه الملل، ويحافظ على استمرار عملية التلقي.

ويعتمد الخطاب الإقناعي العربي على استحضار الواقع في الخطاب، والإحالة إليه والاقتباس منه، والاستشهاد به، فالمرسل يستخدم الأفعال الحركية التي تتفاعل مباشرة مع العالم الخارجي، فيعتمد على الفعل المضارع ويكثر منه، وزمن المضارع يتصل اتصالا مباشرا بالعالم الخارجي، ويتفاعل معه.

ويحيل المرسل المتلقي إلى العالم الخارجي بالفعل والإشارة والضمير، فيقول: انظر، تأمل، اسمع، ... وهذا هو ... وأنت ترى معي ... وسمعنا ... وعرفنا، ولاحظنا، شاهدوا ... .

ويستخدم لذلك ضمير الجمع ليجعل المتلقي مشاركا في صنع مضمون الخطاب، فيعدل عن المفرد إلى ضمير الجمع في الإسناد إلى المتكلم، فيقول: قاتلنا، ناضلنا، قاومنا، بنينا، وسنقاتل، وسنبني ... ويخاطب المتلقي، فيقول: أنتم ناضلتم، أنتم شاركتم. والتوكيد نحو: كل، جميع، ويستحضر الواقع في الخطاب بالإشارة نحو: هذا، تلك، ذاك، ....وظرف الحاضر نحو: الآن، هنا والأحوال نحو: معا، جميعا، سويا.

ويقتبس من العالم الخارجي بعض الصور، ويستعين بها في تقوية مضمون الخطاب، ويقتبس أيضا من الموروث الثقافي الشعبي بعض الأمثال والحكم، والأقوال السيارة، والتراكيب الاجتماعية المألوفة وبعض القوالب اللفظية المتداولة.

وتبدو المجادلة Argumentation[1] واضحة في الخطاب، وهي أكثر أغراضه شيوعا في خطاب السلطة، فالخطاب موجه ضد خطاب آخر لدحضه وهدمه ويعتمد في الجدال على مجادلة اعتراضية oppositional argument تقوم على السفسطة أحيانا fallacious reasonining، وقد تفتقد إلى البراهين المنطقية أو المعطيات الواقعية، فلا تستند إلى يقين بل إلى: قيل، وسمعت، ووصلنا إلينا، وسمعنا في بعض وسائل الإعلام، وذكرت الصحف، وغير ذلك من المصادر الضعيفة التي لا يستدل بها، وتحتج ببعض المواقف العارضة، والشواهد الضعيفة، وآراء القلة، وقد يتضمن الخطاب فكرا هابطا ومذهبا مخالفا ما عليه

---

(١) ارجع إلى: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، الدكتور محمد العبد، دار الفكر العربي ط١٤١٩/١، ١٩٩٩م ص٢٦ وما بعدها.

الجمهور. إن هذا الخطاب عبارة عن مساجلات لفظية يتبارى فيها طرفا الخصام تشبه المنافرات التي كانت تقام في الجاهلية، فيتفاخر كلا الطرفين بحسبه ونسبه وانتصاراته وينقض ما لغيره ويهدمه هدما، وقد يكون آخرها حربا ضارية، وشرراتها الأولى خطاب متنافر، وهي الحالة الوحيدة التي يتحول فيها الخطاب من بناء لفظي إلى إنجاز فعلي ! ويفتقد هذا النوع من الخطابات إلى الهدف أو المقصد، ومن ثم فهو خطاب جدلي عقيم؛ لأنه يفتقد إلى التوجيه الواعي والهدف الصحيح، ولا يقصد به الإقناع بل هدم مقدمات الآخر، فإنه خطاب تخريبي لا ينشد هدفا تقدميا أو إصلاحا سياسيا.

وخطاب الدول النامية هش البنية والمضمون أحيانا، ويعتمد على قوالب ثابتة ومألوفة يكررها، ويعتمد على مضامين معلومة ومكررة يملها الجمهور، وقد تكون المجادلة فريدة صادرة من السلطة تجاه المعارضة التي لا يتاح لها الحديث، وتمثل فيها السلطة طرفي الحوار، فتعرض حججها وحجج المعارضة معا، ولا تختار من الأخيرة إلا الضعيف والشاذ فتسيء عرضه وتضمر ما يخالف مصالحها وأهدافها الجدلية.

والمجادلة الاعتراضية تبني قضية النزاع وتتخذها موضوعا، وتعلنه على الجمهور، وتعتمد على مقابلات لغوية اجتماعية، ومضامين متخالفة، ومواقف متباينة، ويستخدم فيها كل طرف ما يعزز موقفه ويقوي حجته، ويستعين فيه رجال السياسية بسلطتهم، فتغيب الطرف الآخر، وتخفي وجهه الحقيقي، وتقدمه في صورة مشينة. ولا يوجد في العالم العربي خطاب واحد، على ما هو عليه من امتداد طبيعي وتلاحم جغرافي يعيش عليه ما يزيد عن ثلاثمائة مليون عربي تربط بينهم اللغة العربية، وتربط بينهم أواصر تاريخية وثقافية، وعقدية ومصالح مشتركة، وهذا العناصر تشكل كيانا سياسيا موحدا يقوم عليه اتحاد عربي بيد أن كل السلطات الموزعة على هذه المنطقة التي تمتد من الخليج إلى المحيط لا تتحدث خطابا واحدا، فكل وحدة سياسية لها خطاب يتحدث عنها وحدها، والأنظمة السياسية متباينة الاتجاهات ومختلفة فيما بينها، وتفرز غالبا خطابات متناقضة مع الواقع وتضاد غيرها من الخطابات، وقد تكون موجهة لهدمها، فالنهاية التي تصل إليها من تناحر هذه الخطابات تعطيك انطباعا بفراغها وعدم موضوعيتها، وعدم صدقها، فهي لا تصب في وعاء واحد بل تخرج من وعاء واحد وتصب في أوعية مختلفة ولا تجتمع معا، وتجد أحيانا خطابا يناقض نفسه، فهو بالأمس يحدثك عن وحدة عربية، واليوم يحدث عن وحدة أفريقية أو وحدة خليجية أو وحدة أفرو

أوربية أو أورومتوسطية، وخطابه عن الوحدة العربية يتضمن أفكارا تهدم الشخصية العربية وتراثها وثقافتها وعقيدتها، وهذا الخطاب أحادي يرى في نفسه الصواب، ويعتقد ببطلان سلطة الآخر، وقراراته ضد الخطابات الأخرى، فينزع إلى المخالفة والانفراد بالرأي.

والعلاقات البينية بين الوحدات السياسية يشوبها الصراع، فكل وحدة ترى في نفسها المرجعية، ولها حق الطاعة، إنك في النهاية تصل إلى أنظمة هشة وفكرا ساذجا، ووحدة شكلية لا تتجاوز الكلمات والكتب المدرسية. إنك لا تجد خطابا عربيا واحدا يعطيك فكرة واضحة عن الاتجاه العربي المعاصر، والأزمات السياسية تكشف القناع عن وجوه متباينة، فأزمة الخليج فضحت الأقنعة العربية التي أفرزت خطابات متخالفة، وكشفت عن التباين الشديد بين السياسيين والمثقفين، ونتج عن هذا التباين انشطار الكتلة العربية، والإعلام العربي ساهم في صناعة هذه الأزمة، فوسائل الإعلام كثفت جهودها في عرض خطاب السلطة التي تواليها ووجهت نيرانها نحو وسائل الإعلام التي تخالفها الرأي، وهي الأخرى تنافح عن موقف ساستها من الأزمة.

والأنظمة العربية تمارس سياسات متباينة في العلاقة مع إسرائيل، فبعضها يتحدث عن إسرائيل في إطار الصداقة، وآخرون يتحدثون عن الصهيونية التي اغتالت الأرض وقتلت شعبها، ومن وراء هذا وذاك أنصار يباركون الأفعال ويصفقون للخطابات،والجمهور منقسم على نفسه فيمن يشايع ومن يصدق!

والمؤسسات الإعلامية ليست حيادية، فهي صناعة السلطة، والمملوك ولاؤه لسيده، إنها تقدم إليك سيدها في صورة المخلص والنجيب الفذ وقطب الأقطاب، وفريد نوعه وزعيم عصره، وتلبس عليك المعاني فتتلاعب بالدلالات، وتنشئ معاني جديدة وقيما مسيسة، فيرددها الإعلاميون، ويعلق عليها المتخصصون، ويأولونها على وجوه ويكثرون فيها الشروح، فيصبح الخطاب نصا مقدسا تخشى الجماهير نقضه لئلا تكون مارقة.

وهذه الخطابات المتعددة لا تمثل العقل الجمعي للأمة، ولا تحفظ وحدتها، وإنما تكون من بعدها أشتاتا قددا، والنظام السياسي لا يراجع نفسه، ولا يتزحزح عن موضعه، ويرى في خطابه القوة التي تخلق فعلا اجتماعيا وسياسيا، وليس إلا خطابا كلاميا مجردا من قوة الفعل، وليست له أدوات واقعية تجعله منجزا، إنه ليس إلا خطابا كلاميا صنع جوا نفسيا مؤثرا جعل السلطة تصدق نفسها بقوة إنجازاتها وانتصاراتها، فأمرت بأن يكون الخطاب نصا

تعليميا ومنهجا فكريا وجزءا من منظومة المعرفة الاجتماعية والإنسانية في هذا البلد الذي أنجب نجباء السياسة[1]. ووسائل الإعلام تتحدث كثيرا عن إصلاح الخطاب الديني، وترى أنه سبب مباشر في الصراع بين الشرق والغرب، وأن التطرف القطري والقومي والعالمي وليد هذا الخطاب العنيف - حسب رؤيتها - وتجاهلت وسائل الإعلام الخطاب الذي تواليه (خطاب السلطة)، فالخطاب الديني لا يصل مداه وقع الخطاب السياسي المتغطرس، والذي يرى في نفسه القداسة والنزاهة، فقد رسم صورة غير واضحة للإسلام في الإعلام الغربي الذي لا يصله شيء عن الخطاب الديني، فرجال السلطة يمثلون العالم الإسلامي، فالغرب لا يرى سواهم، وأكثرهم شهرة أولئك المخربون الظلمة الذين خربوا بلادهم بأيديهم وأيدي الغربيين فاعتبروا يا أولي الأبصار!

وهؤلاء الذين يتحدثون خطابا عنيفا يمثلون الإسلام في العالم، وما كان الإسلام في شخص حاكم ظالم متعسف، والمسلمون في العالم ليسوا الإسلام، فالإسلام في نصي الكتاب والسنة، وليس ممثلا في صورة حاكم أو عالم، فالحكام والعلماء يمثلون من تحت أيديهم من الناس أو من يوالونهم - تمثيلا قهريا أحيانا وليس اختيارا - ولكن الإسلام لا يمثله فرد أو جماعة أو أمة، ومن ادعى في علمه أو سلوكه أنه الإسلام الحقيقي فهو كذوب غاش، ومن ادعى أنه يمثل الصورة الحقيقة في الإسلام ويقدم التفسير الفريد النموذجي فهو أكذب وأغش ممن سبق.

إن الغربيين لا يسمعون إلا أصوات رؤساء السلطة والجماعات وذوي النفوذ، وأما أصوات الدعاة، وخطباء المنابر، والشرائط المسجلة، فهي لم تصل بعد، ولعلها تصل قريبا، وليست هي التي أعطت الغربيين هذا الفهم الفاسد للإسلام فللغربيين مراجعهم التاريخية التي كتبها رجال الدين الكنسي والمفكرون والمؤرخون الذين كتبوا التاريخ على ما يرون، وهؤلاء جميعا أخطأوا حقيقة التفسير عن سوء مقصد أو غير مقصد، فالخلفية الثقافية عن الإسلام معتمة فقد رسمها الصراع بين الدول الإسلامية والغرب، وهي فترات حالكة عند الغربيين، ولها رواسبها في معرفتهم المعاصرة، وزادت المعروفة سوءا بما يقدمه السياسيون من خطابات غير واعية وبما يفعلونه من ممارسات شائنة داخليا وخارجيا، والأوضاع السياسية في

(١) ارجع إلى: الخطاب الإعلامي العربي. مجلة الإعلام ص٤١.

العالم الإسلامي، والأنظمة غير الشرعية والفساد السياسي، وعدم الحرية وتفشي الجهل والفقر إلخ.

كل هذه الأوضاع تجتمع معا في رسم صورة رديئة للإسلام، فالغرب يفهم الإسلام في سلوك المسلم.

والخطاب السياسي يحتاج مراجعة ودقة، والأوضاع السياسية تحتاج إصلاحا، والعالم العربي محتاج في هذا الجانب إلى خبرة الغرب الواعية في السياسة والخطاب، والخطاب الديني سيكون تابعا الخطاب السياسي؛ لأن رجال السياسة هم الذين يدفعون زعماء الحركات الإسلامية إلى تبني موقف الخصم، وهذه العداوة ستنقشع عندما يدفع السياسيون بالحسنى، فالنار تزداد اشتعالا بفعل من يحركها، والسياسيون هم الذين يزيدون النار اشتعالا متوهمين أنهم سيقضون على الاتجاهات المعاصرة، والفكر لا تهزمه قوة السلطة بل يهزم من داخله عندما يفرغ من مقومات البقاء فالغث يذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وبعض الأفكار الإنسانية شهدت نضوجا وعلوا ثم خبت نارها عندما نفذت وقودها، فالاتجاه الذي يتبناه الإسلاميون سيجد طريقة إلى السلطة شئنا أم أبينا، وقد تحقق ذلك في بعض الدول وهو في طريقه في أخريات، لكننا لا نستطيع أن نحدد الفترة التي يحتفظ فيها بمقاليد الأمر، لأننا ليست لدينا ثوابت تؤكد أن هذه الاتجاهات ستظل مؤمنة بمنهجها وأفكارها، وأنها ستلتمس المناهج الصحيحة، في الدين والسياسة فتحفظ بقاءها وتحقق مقاصد الدولة، والدول التي قامت على أسس دينية، تعيد إصلاح نظامها السياسي في ضوء السياسة المعاصرة، وتخطوا في ذلك خطى وئيدة خشية أن تفقد طريقها، ولكن الغرب يلاحقها، لتفقد توازنها، فتتورط في صراع داخلي أو خارجي. والتاريخ السياسي يؤكد لنا أن دوام الحال من المحال، فالأنظمة التي قامت على نظريات، ظلت قائمة في إطار أفكارها، بيد أن هذه الأفكار قد لا تتسق مع كل المراحل وكل الظروف، فالدولة تجدد من نفسها، وتفرض هذا التجديد على من فيها، والدولة الإسلامية صاحبة أكبر تاريخ، لكنها لم تعش في ثوب واحد ولا سلطة واحدة، فقد توالت على السلطة قيادات عدلت من شكل الدولة، وأصلحت من شأنها، وأضافت إليها، ولكن بعد المتأخرين أخفقوا في وضع تصور معاصر يتسق مع العصر الحديث، وأصروا على ما كان عليه الأقدمون معتبرين أنه الصواب والمقدس، فلم يبق منه شيء، وقد سقط المسلمون المتأخرون، لأنهم تمسكوا برصيدهم

التاريخى الكبير، ولم ينتبهوا إلى أن العصر الحديث يختلف فى تطوره اختلافا كثيرا عما كانت عليه الحقب السابقة فالتطور فيها كان بطيئا وقليلا، وكانت الحضارات تتواصل فى تطورها، والحضارة الحديثة تختلف عما قبلها ولا تتواصل معها، بل هدمت ماسبقها وقامت على أنقاضها، وهى آخر الحضارات.

والخطاب السياسي المعاصر لديه القدرة على التأثير في الخطابات الأخرى في الدولة إن استطاع إقناعها بمضمونه الواعي الناضج، لكنه لن يستطيع فرض نفسه عليها إن لم يك إقناعيا.

ورجال السلطة هم الذين صنعوا خطابا دينيا مضادا، لأنهم عزفوا عنه، وهاجموه، فأصبح ملكية خاصة في سلطة جماعات لا تملك سلطة الدولة، فأعطاهم الخطاب الديني سلطة روحية جماهيرية لا يتمتع بها الخطاب السياسي المجرد من آليات الدين، والدين أهم العناصر التي تعطيه سلطة فوق ما يملكه من سلطة عسكرية،وهي سلطة القيمة التي يكون لهاسلطان علىقلوب الجماهير.

إن الخطاب السياسي جاف عقيم ليست فيه قيم روحية، تفتح له مغاليق القلوب، وتعطيه مكانا مقدسا لا ينتزعه غيرهم منهم مادام مقدسا عندهم أيضا، إنهم مجردون من السلطة الدينية الروحية كمن يدخل معركة بغير غاية، فالإيمان بالقضية أعظم دعائم نجاحها، والجماعات الدينية تمكنت من قلوب الجماهير، وأصبح لها سلطان على قلوبها، وهي الخطوة الأولى في الهيمنة على السلطة السياسية التي ستأول إليها طائعة إن استمرت السلطة القائمة في طريقها العسكري فقط دون التعبئة النفسية الروحية، وتستطيع الآن أن تستدرك الموقف إن تبنت خطابا دينيا واعيا مقنعا تستطيع به جذب الجماهير ليكونوا في صفوفها وتحت رايتها، وسيكتب لها النصر – إن شاء الله – لأنها تملك السلطة المادية والسلطة الروحية (الدين)، لكنها الآن ضعيفة، فسلطتها المادية رهينة الأحداث العالمية والاقتصادية وفريسة الأزمات التي قد تصنع من المعارضة مخلصين، وهم الآن يتحينون فرصة الانقضاض، ويتربصون الدوائر، وليس للسلطة القائمة إلا قوة السلاح، لكنه قد يكون عديم القيمة بلا جند يؤمنون بالسلطة ودوافع المعركة، ويوالون خصوم السلطة الذين يصورنها على أنها ملحدة وعبء على الجماهير، وتسوسهم على غير منهج قيم، وقد صور لنا الواقع السياسي المعاصر شيئا من ذلك، فالحكومات الإسلامية المعاصرة قامت على أنقاض حكومات

عسكرية مجردة من الدعم الروحي سواء أكان ماديا أو وطنيا أو قوميا، فالإيمان بالوطنية أو القومية أو الدين عميق الأثر في الولاء للسلطة، والسلطة التي تستطيع إقناع الجماهير بأنها الحافظ الأمين على الوطن والعقيدة والثقافة تستطيع الاحتفاظ بكيانها في ضوء هذا المبدأ.

والخطاب السياسي والخطاب الديني في الشرق ليسا معقلا لاتصال ناجح مع الغرب يترتب عليه علاقات طيبة، فرجال السلطة يتحدثون عن دولة عربية قومية، يقضون بها على إسرائيل، وينهون بها مصالح الغرب الاقتصادية والتجارية مع الشرق، ويجعلونها قوة عظمى تصارع الدول الكبرى، وتردع طموحاتها السياسية في العالم.

والخطاب الديني يستخدم المضمون نفسه، فيدعو إلى إزالة الحكومات القائمة، ويتهمها بالفساد والتقصير، وأنها حليفة الشيطان وحكومة جاهلية، ويدعو إلى قيام دولة إسلامية قوية مثل دولة الخلافة السالفة، لتقاتل اليهود، ولا تبقى على أحد منهم خلف حجر أو شجر، وسيعينهم على ذلك الحجر والشجر، وستقوم هذه الدولة بإعادة الأرض التي سلبت من دولة الخلافة، فستسرد أسبانيا(الأندلس) وجنوب أوربا وشرقها، وولاياتها السابقة في آسيا وسترد الهند إلى حوذة الإسلام وستلزم الصين الجزية التي كانت تدفعها، وستقتطع منها الولايات الإسلامية، وستقضي على قواعدها في العالم، ويبادرون بالعداوة الخطابية، ولا يرفعون شعارا عالميا يبشر العالم بعالمية الدين، وإصلاح العالم به، وحل قضاياه بمبادئه العادلة، ولكنهم يتوعدون غير المسلمين بالحرب قبل أن يدعوهم إلى الإسلام، ويقنعوهم بعدالته وصدقه.

هؤلاء يتحدثون بهذا الخطاب العدواني، ويحسبون أنهم في غفلة من هذه الدول التي ستكون هدفا حربيا، لأصحاب هذا الخطاب، وأراهم لا يعقلون، فهم يتحدثون عن دولتين فى الوطن العربى (الدولة القومية عند القوميين والدولة الإسلامية عند الإسلاميين) مازالتا في طي الخيال ولم تصل إحداهما إلى السلطة، ويجلبون على أنفسهم الحرب والحصار دون أسباب حقيقية، وقد سبقهم عبد الناصر، فتحدث عن دولة قومية " الجمهورية العربية المتحدة " وهدفها الأساس القضاء على إسرائيل، ويحرر بها الدول الفقيرة ورفع لواء التحرير في العالم وليس لديه قوة يحمى بها نفسه وأهدافه ويحقق بها أحلامه، واعتقد أنه زعيم هذه الدولة، وتضمن خطابه هذه السلطة ومارس سيادته على العرب، وهو في غفلة من إسرائيل التي قضت سرا وعلنا على بوادر أية وحدة عربية، ومن وراء إسرائيل دول أخرى

لها مصالح في المنطقة، وجنت إسرائيل مكاسب سياسية كثيرة من هذه الخطابات العدوانية الانفعالية، وساهمت في زيادة دعم الغرب لها وإقامة دولتها على كل أرض فلسطين.

إن الواقع السياسي يتطلب خطابا جديدا يتخذ أهدافا إصلاحية وتنموية يبشر بها العالم، فالعالم لا يرغب في استقدام الخطر؛ لأنه يبذل كثيرا من إنتاجه لتحاشي الأخطار القائمة، وما ينفقه في منع الخطر أقل كثيرا من التصدي له والاحتراس منه، وهذه الخطابات تمثل خطرا على الشعوب التي تبحث عن السكينة، فتبادرها بحرب وقائية.

فالدولة العربية يجب أن يكون هدفها إصلاح أحوال المنطقة وانتعاشها واستقرارها، وهذا الاستقرار يمنح الدول الأخرى أمانا وحفظا لمصالحها مع المنطقة، وتعد هذه الدولة قوة جديدة لدعم الاستقرار العالمي، والقضاء على الحكومات المتناحرة والخلافات الداخلية، فالسلطة الموحدة ستحتوي المصالح الداخلية، وهذا الاستقرار سيجعل إسرائيل في موقف حرج، لأنها ستكون أمام العالم دولة إرهابية تشكل خطرا وتهديدا للمنطقة والسلام العالمي، وستكون عائقا مباشرا أمام مصالح الدول الأخرى في المنطقة العربية، لأنها سبب مباشر في التسلح وعدم الاستقرار، والدولة العظمى لن تصبح عظمى إن خاضت حروبا عسكرية، ولكنها عظمى وستظل عظمى عندما تكون معاركها إصلاحية وإنتاجية، أما هؤلاء الذين يبشرون بالحروب ويعدون لها، فلن تقم لهم دولة عظمى.

إن الخطاب السياسي يحتاج مراجعة في مضمونه وأهدافه، ويحتاج تجديدا في فكره ولغته، ويحتاج تعديلا أدائيا، فالأسلوب الذي يؤدى به عنيفا وانفعاليا، ويستوحي الآخر منه كراهية وعدوانا، وينذر بخطورة هذا الاتجاه.

والخطاب الديني يحتاج هدما لبنيته القائمة، مثله في ذلك مثل الخطاب السياسي، والهدم لا يعني هدم الأسس العقدية بل هدم المضمون الفكري الذي يعبر عنه، فهو يوظف الجهاد في الخطاب توظيفا مبالغا فيه، فالجهاد لا يمثل الإسلام جميعه ولا يمثل أركان الإسلام الخمسة، بل هو فرض ضرورة وبعض المسلمين يكفي الآخرين عن أدائه، ولا يجب أن نتحدث مع الآخر عن هذا الفرض، فالحديث عنه خاص بالمسلمين، وما بقي من الإسلام من دون الحدود كاف للحديث مع أفراد لا يؤمنون بهذا الدين، ولكن أصحاب الخطاب المعاصر يقدمون العقاب قبل العفو، والنار قبل الجنة، فيتحدثون مباشرة عما يجب الانتفاع به والتمتع به، إنهم يرهبون ولا يرغبون، ويعطون الآخر انطباعا أنه في حل من هذا العقاب وهذه

المعاناة التي تحرمه من كل شيء. ويصورون المسلم في زى رجل الحرب دائما، فلا يضع سلاحه الذي لا يفارقه في مصافحة الآخرين والتعايش معهم، وهي صورة مخيفة يبدو فيها المسلم.

ويوجد على الطرف الآخر فريق يدعو إلى تجديد الخطاب الديني، وهدفهم الأول والأخير تجريد الدين الإسلامي من فاعليته وتهميشه ونفيه عن سلوك المجتمع، وفكرة التجديد تعني إزاحة الدين عن مسيرة المسلم في الحياة.

فالحديث عن نسق ديني اجتماعي يعد تطرفا وتعصبا، وسلطة إلهية يدعيها البشر، وخير مكان يعيش فيه الدين سالما ساكنا المسجد، فمن شاء أن يعرف عنه شيئا، فليذهب إليه هنالك، ومن لم يرغب فيه فلا حرج عليه وهذا ملخص لفكر دعاة التجديد في الخطاب الديني.

والدين نفسه لا يحتاج تجديدا، ولكن أولئك الذين لا يبرحون مواضعهم، ولا يتوبون من قريب، وأولئك الذين يرددون فكرا ميتا مات في أرضه ومازال حيا في عقولهم الصلفة، وأولئك الذين يقدسون العلمانية الغربية ويرونها تنويرا يضيء الشرق، والغرب يشن حملات صليبية عليهم، لئلا يروا النور، فالغرب في مواقفه السياسية مع قضايا الدول الإسلامية صليبيا متعصبا أو ماسونيا، ويدعي أنه علماني، ويغلف خطابه المكذوب بألفاظ لا تعبر عن المقاصد الحقيقية التي تفضحها الأحداث.

فإسرائيل دولة دينية أفكارها السياسية متطرفة، ولا ينكرها العلمانيون، وأمريكا وأوربا تحركها منظمات سرية ذات أيديولوجية متطرفة، وتدعي في سياستها العامة أنها علمانية !

إننا في حاجة إلى مراجعة هذه الأشكال الهزيلة، وإعادة ترتيب الفكرة وهيكلة الأنظمة على نحو معاصر، وإننا في حاجة إلى بناء شكل جديد يتسق مع معطياتنا الثقافية وأنماط حياتنا المعاصرة، وأن نزيح عنه مخلفات الماضي ونفاياته الضارة ورواسبه، وأن ننقيه من شوائب الأفكار الشاذة التي تعصف بنا من حولنا، ويترنح فيها بعض أبناء جلدتنا، ويتخذونها دينا، ويعلنون أنهم على غير دين رغبة في الشهرة.

إن التجديد المنشود في الخطاب تجديد مضموني ينعكس على المفردات التي تتسق معه، وتعبر عنه في سياقاتها، وهذا التجديد يشمل مؤسسات الدولة الإدارية والثقافية، وهذه

المؤسسات تستتبع خطاب السلطة الذي يرتجى منه حمـل لـواء التجديـد، وأن يكـون إمامـا للخطابـات الأخرى، فالشعوب على دين حكامها وتبع لهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

الدكتور محمود أبو المعاطي عكاشة

القاهرة - لاظوغلى

ذو الحجة ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م

المراجع

* الاتصال والسلوك الإنساني , برنت . د . روبن , ترجمة نخبة من العلماء, جامعة الملك سعود , معهد الإدارة العامة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

* الأسس العلمية لنظريات الإعلام , الدكتورة جيهان أحمد رشتى , دار الفكر العربي ط٢ / ١٩٧٨م

* الاشتقاق , عبد الله أمين , مكتبة الخانجي ط٢/١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

* الألسنية العربية , ريمون طحان , دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٥م

* الألسنية التوليدية والتحويلية , وقواعد اللغة , الدكتور ميشال زكريا , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

* البناء الصرفى فى الخطاب المعاصر ، الدكتور محمود عكاشة ، مكتبة الأنجلو ط١ / ٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ

* بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي , د/ محمد العبد , توزيع دار الفكر العربي , القاهرة ط١ /١٤١٩هـ - ١٩١٩م.

* بلاغة الخطاب وعلم النص , الدكتور صلاح فضل , عالم المعرفة الكويت, عدد ١٦٤, ١٩٩٢م.

* تاريخ الحكم في الإسلام , الدكتور محمود عكاشة , مؤسسة المختار , ط١/٢٠٠٢م.

* تحليل الخطاب السياسي الناصري , محمد سليم السيد , مركز الوحدة العربية, ط١ /١٩٨٣م.

* تحليل الخطاب , براون , جورج يول , ترجمة محمد لطفي , منير التركي, جامعة الملك سعود ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ

* التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة " دراسة في علم الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية " ط١ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م دار النشر للجامعات .

* التعبير الاصطلاحي , الدكتور كريم زكي حسام الدين , الأنجلو المصرية ١٩٨٦م.

* التكرير بين المثير والاستجابة , دار الطباعة المحمدية ط١/١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

* ثورة الاتصال , نشأة أيدلوجية , بروت , سيرج , ترجمة هالة عبد الرؤف مراد , دار المستقبل العربي , بيروت , ١٩٩٣م.

* الجماعة, السلطة, الاتصال, وليفيك, موران, ترجمة نظر جاهل, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع,ط١/١٩٩١م.

* الحكم فى الإسلام ، الدكتور محمود عكاشة ، الأنجلو ط١/٢٠٠٢م ١٤٢٤هـ

* الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني , تحقيق محمد علي النجار, الهيئة العامة للكتاب, مصر.
* خطاب الحكاية, جيراء جنيت , ترجمة محمد معتصم , وعبد الجليل الأردي, وعمر حلي, المجلس الأعلى للثقافة, مصر ط٢ / ١٩٩٧م.
* درة الغواص, القاسم بن علي بن محمد الحريري, تحقيق عبد الحفيظ فرغلي, دار الجيل, مكتبة التراث الإسلامي ط١ / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
* الدلالة الزمنية في الجملة العربية, الدكتور علي منصور, ط١ / ١٩٨٤م بغداد.
* الدلالة اللفظية, الدكتور محمود عكاشة, مكتبة الأنجلو المصرية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
* الشعر فى عصر النبوة ، الدكتور محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، ط٢٠٠٦/١م ١٤٢٧هـ
* الشفاهية والكتابية , ولتر- ج . أونج, ترجمة الدكتور حسن البنا عز الدين, عالم المعرفة, الكويت, عدد ١٨٢م ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
* علم اللغة الاجتماعى، مفهومه وقضاياه، صبرى إبراهيم السيد، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥م.
* علم اللغة الاجتماعي, الدكتور كمال محمد بشر, دار الثقافة العربية ١٩٩٤م.
* علم اللغة والمسئولية, نعوم تشومسكي, ترجمة حسام البهنساوي, مكتبة الزهراء ط١/ ١٩٩٩م.
* علم النفس اللغوي, الدكتور نوال عطية, المكتبة الأكاديمية ط١٩٩٥/٣م.
* في فلسفة اللغة, كمال يوسف الحاج, دار النهار للنشر, بيروت.
* القاموس السياسي, أحمد عطية, دار النهضة المصرية ط٣ / ١٩٦٨م.
* القومية والدين في فكر جمال عبد الناصر ١٩٥٢ - ١٩٧٠م. دراسة في علم المفردات والدلالة, مرلين نصر- مركز الدراسات السياسية ط١ / ١٩٨٢م.
* الكلمة, دراسة لغوية, الدكتور حلمي خليل, منشأة المعارف بالإسكندرية.
* لذة النص, رولان بارت, ترجمة محمد خير البقاعي, المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨م.
* لسانيات النص, مدخل إلي انسجام الخطاب, محمد خطابي, المركز الثقافي العربي, بيروت, الدار البيضاء, ط١ / ١٩٨٣م.
* لغة الخطاب السياسي, الدكتور محمود عكاشة, دار النشر للجامعات, ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
* اللغة والخطاب الأدبي, سعيد الغانمي, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط١ / ١٩٩٣م.

* اللغة والتفسير والتواصل, الدكتور مصطفى ناصف, عالم المعرفة, الكويت, عدد ١٩٩٣م , ١٩٩٥م.

* اللفظ والمعنى بين الأيدلوجية والتأسيس المعرفي للعلم, طارق النعمان, سينا لنشر ط١/ ١٩٩٤م.

* مدخل إلي التحليل البنيوي للقصص, رولان بارت, ترجمة منذر عياشي, مركز الإنماء العربي, سوريا.

* مدخل إلي الألسنية, بول فابر, كريستان بايلون, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط١ / ١٩٩٢م.

* مدخل لدراسة النص والسلطة, عمر أوكان, أفريقيا الشرق, المغرب,ط١/ ١٩٩١م.

* مشكل الحديث وبيانه, أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك, تحقيق عبد المعطي قلعجي, دار الرقي, حلب, ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

* معاني الأبنية في اللغة العربية , فاضل السامرائي, ١٤٠١هـ - ١٩٨١م الكويت.

* معرفة اللغة, جورج يول, ترجمة محمود فراج, ط١ / ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

* مملكة الحكم الإلهى فى أوربا (مملكة المسيح)، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٢م ١٤٢٣هـ

* النص والتأويل, بول ريكو, ترجمة مصطفى عبد الخالق, مجلة العرب والفكر العالمي, عدد ٣ , ١٩٨٨م.

* النص والخطاب والإجراء, دوبو جراند, ترجمة الدكتور تمام حسان, عالم الكتب, ط١ / ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

* نظرية اللغة في النقد العربي, الدكتور عبد الحليم راضي, المجلس الأعلى للثقافة, ٢٠٠٣م.

* نظرية النص, رولان بارت, ترجمة محمد خير البقاعي بيروت, مجلة العرب , والفكر العالمي.

* النظم السياسية, الدكتور ثروت بدوي, مكتبة النهضة المصرية, ١٩٥٨م.

** ** ** **

الفهرس

خلفية الكتاب

هذا الكتاب

يتناول موضوعا جديدا وفريدا من الموضوعات المعاصرة التي تشغل الفكر العالمي، وتؤثر في الثقافة المعاصرة، والصراعات الدولية، وحركات المد الفكري، والاقتصادي في العالم.

ويتضمن موضوع الكتاب علاقة اللغة بالسياسة، وأثرها في الحياة العامة، ودورها في الاتصال، وأثرها في الجماهير، وقدرتها على التأثير والإقناع، وردود الأفعال التي تحققها، وعلاقتها بالإعلام، وقدرة وسائل الإعلام على توظيفها.

وحرص المؤلف فيه على كشف مفهوم الخطاب، وقنوات الاتصال، وقدم وصفا دقيقا لخطاب السلطة، وعالج الخطاب العربي، ومضمونه في إطار السياسة العالمية، ورد الفعل الذي يحققه، وتوصل المؤلف إلى ضرورة تجديد مضمون الخطاب ليتسق مع الفكر العالمي المعاصر ؛ فيحقق مصالح الأمة.

ونرجوا من الله – تعالى - أن يجد الكتاب مكانه في قلب القارئ ووعيه، وأن يجد فيه حاجته في مجال العلوم الإنسانية.

الناشر

هذا الكتاب

يتناول موضوعاً جديداً وفريداً من الموضوعات المعاصرة التي تشغل الفكر العالمي، وتؤثر في الثقافة المعاصرة، والصراعات الدولية، وحركات المد الفكري، والاقتصادي في العالم.

ويتضمن موضوع الكتاب علاقة اللغة بالسياسة، وأثرها في الحياة العامة، ودورها في الاتصال، وأثرها في الجماهير، وقدرتها على التأثير والإقناع، وردود الأفعال التي تحققها، وعلاقتها بالإعلام، وقدرة وسائل الإعلام على توظيفها.

وحرص المؤلف فيه على كشف مفهوم الخطاب، وقنوات الاتصال، وقدم وصفاً دقيقاً لخطاب السلطة، وعالج الخطاب العربي، ومضمونه في إطار السياسة العالمية، ورد الفعل الذي يحققه، وتوصل المؤلف إلى ضرورة تجديد مضمون الخطاب ليتسق مع الفكر العالمي المعاصر ؛ فيحقق مصالح الأمة.

ونرجو من الله - تعالى - أن يجد الكتاب مكانه في قلب القارئ ووعيه، وأن يجد فيه حاجته في مجال العلوم الإنسانية.

الناشر

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

٨٢ شارع وادى النيل، المهندسين ، القاهرة ، مصر

تلفاكس: ٥٦١ ٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢)

مكتبة دار المعرفة

٤ شارع السرايات أمام هندسة عين شمس

القاهرة ، مصر ؛ ت : ٦٨٤٤٠٤٣